تدبر
15
مجلة تدبر
خبرات طيبة للبحوث والدراسات
مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة
العدد الخامس عشر - المجلد السادس عشر - السنة الثامنة. المحرم ١٤٤٥هـ/ يوليو ٢٠٢٣م
معامل تأثير ارسيف لعام (2021) Q1: 0.375
(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

١٥

موضوعات العدد:

- من لطائف البيان القرآني في آيات أولي الألباب في سورة الرعد
  د. ربيع بن يوسف المهيمي
- صيغة التفضيل أفعل في غير بابها في القرآن الكريم
  د. عبد الرزاق حسين أحمد
- بلاغة التعبير باللفظ المفرد المراد به الجمع في النظم القرآني
  أ. د. محمد محمود يوسف النهلول
- خطاب العنصرية القولية ومناهضته في الرؤية القرآنية
  د. ميلود عزيمة
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان:
  الاستدراك في التفسير، دراسة تأصيلية
  للباحثة: د. منال بنت عبد الإله بن محمد الهندي
- تقرير تعريفي بكتاب: مذكرة تدبر القرآن الكريم
  "دراسة تأصيلية للدراسات العليا"
  إعداد: أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
- تقرير عن ندوة علمية بعنوان:
  علم معاني القرآن الكريم "أوضاع ومقاصد" بالمملكة المغربية
  إعداد: د. يوسف فاوزي

ISSN
Arcif Analytics
ORCID
INDEX COPERNICUS
Google Scholar
معرفة e-Marefa
دار المنظومة
Crossref

مجلة تدبر
عدد

خطاب العنصرية القولية ومناهضته في الرؤية القرآنية

The discourse of verbal racism and its opposition in the Quranic vision

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام
Q1: 0.375 (2021)

د. ميلود عرنيبة
Dr. Miloud Arniba

قدم للتحكيم في المجلة بتاريخ: ٢٠-٧-١٤٤٤هـ، الموافق ١١-٢-٢٠٢٣م
قبل للنشر بتاريخ: ٢٤-٠٩-١٤٤٤هـ، الموافق: ١٥-٠٤-٢٠٢٣م
نشر في العدد الخامس عشر: المحرم١٤٤٥هـ الموافق: يوليو ٢٠٢٣م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٤ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٨٠ يومًا).

أستاذ الثانوي التأهيلي، الأكاديمية الجهوية مراكش - المغرب

Professor of Arabic Language, Vocational Secondary Education, Essaouira, Morocco

- مواليد: آسفي بالمملكة المغربية.
- حصل على درجة الدكتوراة في النقد الأدبي من كلية الآداب بجامعة القاضي عياض – مراكش بأطروحته: تلقي ألف ليلة وليلة في النقد المغاربي.
- حصل على درجة الماجستير في النقد الأدبي من كلية الآداب بجامعة القاضي عياض – مراكش، بأطروحته: النموذج التأويلي التقابلي وانسجام الخطاب القرآني.

بعض النتاج العلمي:

- كتاب بعنوان: التقابلية منهجًا لانسجام خطاب التأويل، ٢٠١٩ .
- المشاركة في كتاب جماعي بعنوان: أدب الرحلة؛ جدلية الأنا والآخر في عالم متغير، تقديم وتنسيق: الدكتور خالد التوزاني، طبعة ٢٠٢٠م.
- كتاب على مرمى حجر أدب الرحلة، دار السعيد للنشر، مصر، ٢٠٢٠.
- المشاركة في كتاب جماعي بعنوان نحو بلاغة تأويلية جديدة، أبحاث محكمة في جهود الباحث الأكاديمي المغربي محمد بازي، تقديم وتنسيق الدكتور الحسين خليفة، مطبعة قرطبة، أكادير، ط١، ٢٠١٩ .
- شارك في العديد من الندوات الوطنية والدولية.
- كتاب من بلاغة الخطاب إلى بلاغة الاستخلاف (كتاب حائز على جائزة كتارا في اللغة والقرآن ٢٠٢٢)، عن دار كتارا للنشر.

البريد الشبكي: Email: molodarniba@gmail.com

المُسْتَخْلَص

يهْدِف هذا البَحثُ إلىٰ رَصْد مَواطِن الحديثِ عَن العُنصريَّة القوْلية في القُرآن الكَريم، والكَشْف عَن موْقفِ القُرآن الكريم منْها، وكيفَ تعاملَ معَها وعَالجها، بهدفِ بيانِ موقِفِ الدِّينِ الإسلامي الرافضِ لهذا النَّوعِ من العُنصريَّة التي تَقفُ خلْف العدِيد مِن الصِّراعَات والنَّعراتِ التي يَكتوِي بِنيرانهَا عَالمنا اليوْم، وأنَّ هَذا الدِّينَ براءٌ مِن كُلِّ الدّعاوىٰ المغْرضَة التِي تتَّهمه عبَثا بهَا، ثمَّ بغايةِ اسْتخلاصِ بعْض العِبر والدُّروسِ العَمليَّة التي يمْكِننا العَمَل بها في زمَننا لمنَاهضَة هَذا الدَّاءِ الذي يُسبِّبُ اليومَ كَثيرا مِن المشاكلِ التي تَتخبَّط فيهَا المجتَمعاتُ دَاخليا وعَلىٰ مُستوىٰ علاقَاتها الخارِجيَّة. وقَد سَار هذا البَحثُ وفْق منْهجٍ وصْفي تحْليلي تَسانُدي، يَقوم علَىٰ تَناولِ الآياتِ التي أشَارتْ إلىٰ الظاهرةِ المدْروسَة بِالتحْليل بِواسِطة تَساندِ عَديدٍ مِن الآلياتِ مِن قبِيل: السياقِ، والتَّحلِيل اللُّغوي، والتفسِير، والتَّحلِيل الحِجاجِي، وآلياتِ تحليلِ الخِطابِ.

الكلماتُ المفْتاحِيَّة: العُنصريَّة- العُنصريَّة القَوليَّة- مُناهَضة.

The Discourse of Verbal Racism and Combating it in the Quranic Vision

Dr. Miloud Arniba

Professor of Arabic Language, Vocational Secondary Education, Essaouira, Morocco

Reviewed on: 2023-2-7.
Publication approved on: 2023-3-13.
Published in the: 15th issue july 2023.
Period of review and publication approval letter: (34 days).
Average period of review and publication: (80 days).

Email: molodarniba@gmail.com
https://orcid.org/0009-0001-3065-6217

Abstract

This research attempts to trace the points of dealing with verbal racism in the Holy Qur'an, and to reveal the position of the Holy Qur'an on it, and how the Holy Quran dealt with aiming to clarify the Islamic position that rejects this type of racism that causes many conflicts threatening our today world. The study aims also to show that Islam is innocent of all false accusations of racism against Islam. In addition, the study targets extracting certain practical lessons and examples to be used in our time to combat racism which causes many problems challenging our contemporary societies both locally and at the level of international relations. The study adopted the descriptive, analytical, supportive approach as it tackles the verses that referred to the studied phenomenon by means of the support of many mechanisms such as: context, linguistic analysis, interpretation, argumentative analysis, and discourse analysis mechanisms.

Keywords: Racism - Verbal Racism - Combating.

المُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله صاحب العطاء المشاع، المستحقّ للحمد بلا انقطاع، أنزل القران الكريم، هداية للخلق أجمعين، أرشد فيه إلىٰ سبل الهدىٰ، وحذر فيه من مسالك الردىٰ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ سيد المرسلين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

١ - موْضُوع البَحث وأهْدافُه:

إنَّ القارئَ للقرآنِ الكَريم المتتبّع لقَصصِ الأنبْياءِ معَ أقوامِهم سيَجدُ أنّ حِواراتِ بعْض المنْكرِين والجاحِدينَ مطْبوعَة بِطابعٍ عنْصريّ بَيّنٍ؛ فُهمْ يحْتقِرون أتباعَ الأنبياءِ منَ المؤمِنين لتَواضُعهم، وينْعتُونهم بألفَاظ تحُطّ مِن قدْرِهم، ويتّخذون ذلكَ مدْخلا للتّشكِيك في دَعْوة أنبيائِهم، أو يَدْعون الأنبياءَ إلىٰ الإعْراضِ عَن المسْتضعَفين مِن قوْمهم وتفضيلِهم عليهم والفضْل بينَهم كشَرط لسَماعِ الدّعوَة واتّباعِها. كمَا سيعثرُ علىٰ ادّعاءاتٍ عنصُرية ادّعاها اليهودُ والنّصارىٰ زورًا وبهتَانًا بناءً علىٰ امْتيازَاتٍ دينيّة وعِرقيّة لا تحلّ لهم.

ويسْعىٰ هذَا البحْث إلىٰ رَصْد مَواطِن العُنصرية القوليّة في القُرآن الكَريم، وتعرّف موْقفِ هذا الكتابِ العظيم منْها، وكيْف تَعامل مَعها، بهدفِ بيانِ الموقِفِ الصحيحِ للدّينِ الإسلامي من هذا النّوع منَ العنصريّة، والذي من غيرِ شكّ هو موقِفُ الرّفضِ والإدانةِ، وتوعّدِ مدّعيهَا بالعقابِ، وأنّ الدّين براءٌ من كلّ الدّعاوىٰ الباطِلة التي تتّهمه عبثًا بهَا. ثمّ بغايةِ استِخلاصِ بعْض العِبر والدّروس العمليّة التي

يمكنُ العمَل بها في زمَننا لمناهَضةِ هذا الدّاءِ الذي يُسبّب اليومَ كثيرا مِن المشاكلِ التي تتَخبّط فيها المجتَمعاتُ داخليّا وعلىٰ مُستوىٰ عَلاقَاتها الخارِجيّة، مسْتدلّا علىٰ صلاحيّةِ هذا القرآنِ لزمانِنا كمَا كان صالحًا للأزمنةِ السّالِفةِ، وكما سيظلُّ صالحًا لما يُستقْبَلُ من الأزمانِ، بمَا هو خطابُ ربّ العالمينَ والرّسالةُ الخَاتِمةُ.

◆ ٢- دَواعِي البَحث وإشْكاليّتُه وفرْضيّاتُه:

وقفتْ عدّة دَواعي واعْتباراتٍ خلْف اخْتيارِي لهذَا الموْضُوع، ولَعلّ أهمَّها:

تغَلغلُ العُنصريةِ وتفاقُمُها في كثيرٍ من الخطاباتِ اليوْميّة العاديّة والرّسمية منْها، وفي مخْتلفِ الأمَاكنِ العُموميّة والخاصّة، ومَا يُثيره ذَلك مِن صراعاتٍ وفسادٍ للعَلاقاتِ بينَ الأفرَادِ والجمَاعاتِ، ومَا يتسبّبُ فيهِ من نُشوبِ الأزماتِ والحُروبِ بيْن بني البَشر، ممّا يَستدْعي وُقوفًا علَىٰ هذِه الظاهِرة ودِراسَتها.

- ما يعْرفُه العالمُ اليومَ مِن عُنصريّة -علَىٰ الرّغم ممّا يدّعيه مِن تحَضّر- اتّجاهَ بعْض الأجْناسِ؛ مثْل السّودِ، ومَا يخلّفه ذلكَ مِن مشاعِر اليأسِ والكراهيّة ومَا يَنتجُ عنْه منْ عُنف وعنفٍ مضادّ، الشيءُ الذِي يتطلّب بيانَ النّظرةِ القُرآنيّة الْمُدينةِ لهذه الظاهرَةِ التي تَتعارضُ معَ مبْدإِ التّكريمِ الذِي خصّ اللهُ بِهِ الإنسانَ.

- الردُّ علَىٰ مَن يتّهمُون الإسْلامَ بالعُنصريّة انطِلاقًا مِن حُكمِهم علَىٰ سلُوكاتِ بعْض المنتَمين للإسْلامِ، وبيانُ خَطئهم في ذلِك من خِلال تَوضيح مَوقِف الإسْلام والقرآنِ منْ هَذه الظاهِرةِ، وإدانَتِهِ لها أيًّا كانَ نوْعُها ومَصدرُها واتجَاهُها.

- ما تُحاوِلهُ اليوْمَ المنظماتُ الحقوقيّةُ والإنسانيّةُ وعقلاءُ العالمِ من سنّ قوانين رادِعةٍ للعنصريّةِ واتفاقاتٍ بين الدّولِ ملزِمةٍ لِمحاربتِها، يستدْعي منّا نحنُ

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

المسلمينَ أن نبيّنَ رأيَ ديننَا السبَّاقِ إلىٰ ذلكَ، ونعتزّ بما جاءَ فيهِ من قيمٍ كونيّةٍ تتناغم مع كلّ ما فيهِ خيرٌ للبشريّةِ جمْعاء.

وينطلقُ هَذا البحْثِ منْ إشكاليّةٍ أسَاسٍ يمكِن صيَاغتُها كمَا يأْتي:

لقدْ اتّخذَت العُنصريةُ منذُ القَديم -ولا تزالُ تتّخذ- أنماطًا مخْتلفةً مِن الظّهورِ والتفشّي بينَ النّاسِ، منْها القوليُّ والفعليُّ، ونحن نفترضُ أنّ أخطرَ أشكالِ العُنصريّة هو العُنصريّة القوليةُ؛ لأنَّ أصلَ كلّ فعلٍ قولٌ خلْفَه هو الذي يُحرّكُه ويحفّزه ويذكِي نارَه؛ فكم مِن الحروبِ التي نشبتْ، ومن الدّماء التي أُزهقتْ، ومن النزاعاتِ التي طالتْ، كانتْ بسببِ كلمةٍ أو قولٍ؛ فخطورةُ الكلمةِ كبيرةٌ وآثارُها وخيمةٌ. ومِن هُنا وقعَ اختيارُنا في هذا البحْث علَىٰ إشكاليّة دراسةِ العُنصريّة القولية في الخطابِ القرآنيّ، من خلالِ محاولةِ الإجابة عن الأسئلةِ الإشكاليةِ الآتيةِ: ما السياقاتُ التي عَرَضَ فيها القرآنُ خطابَ العنصرية؟ كيف عرضَه؟ وكيفَ عالجَه وردَّ عليْه؟ وما خطورةُ هذا الخطابِ في الرؤيةِ القرآنية؟ وإلىٰ أي حدّ يمكنُ لتحليلِ الخطابِ القرآنيّ في شقِّ معالجتِه لموضوعِ العنصريةِ أن يكونَ مدخلا للحدّ من آثارِ هذه الآفةِ وانتشارِها؟

وقَد بُني علىٰ عددٍ من الفرْضيّاتِ علَىٰ النّحو الآتي:

أولها: أنّ الإسلامَ باعتبارِه الدّينَ الخاتمَ ورسالةَ الله إلىٰ العالمين كانَ ولا بدّ أن يحملَ علىٰ عاتقِه همّ توحيدِ البشرية علىٰ أسسِ العدلِ والمساواةِ باعتبار ذلكَ أساسَ الاستخلافِ علىٰ الأرضِ التي يشتركون في العيشِ عليها.

ثانيها: أنّه وإيمانا منّا بخطورةِ القولِ العُنصريّ، ودورِه الخطيرِ في إشعال فتيلِ الفتنِ والصّراعات الطائفيةِ، وهدمِ أركان المجتمعاتِ ودكّ قواعدِ الوحدة

والتعاونِ، فقد خصّها الخطابُ القرآنيُّ بعناية فائقةٍ، عرضًا وتحليلًا ومعالجةً.

ثالثها: أنّه لمّا كان خطابُ العنصريّةِ بهذه الخطورةِ الكبيرة، فمنَ المحتملِ أن يواجهَهُ الخطابُ القرآنيُّ بخطابٍ مضادّ يُبطله ويندّدُ به، ويتوعّد أصحابَه بعقابٍ شَديد في الآجلةِ والعاجلةِ علىٰ حدّ سواء؛ ردعًا لهم.

رابعها: أنّ الدينَ والمعتقدَ والالتزامَ بهما، ولا سيما الدينَ الإسلاميَّ، يعدّ مدْخلًا أساسًا للقضاءِ علىٰ العنصريةِ أو علىٰ الأقل التخفيفَ منها، في عصْرنا الراهنِ إذ عجزتْ كلُّ السبلِ والمسَاعي في اجْتثاثِ هذه الآفة التي يكْتوي العالمُ اليوم بنيرَانِهَا.

◆ ٣- الدّراساتُ السّابقةُ:

وأنا أبحثُ في هَذا الموضُوع وجَدتُ مجْموعةً من الدّراساتِ التي تناولته، غيرَ أنّ ثلاثًا منها هي التي كان لهَا تقاطُع مباشرٌ معَ بحْثِي:

الأولىٰ: بعنوان «كيْف عالجَ القُرآن الكَريمُ العُنصريّة بأنْواعِها»، وهي الفَصل الأوّل منْ كتابِ «الإسلامُ والعنصريّة وتفاضُل القَبائل وذَوي الألْوانِ في مِيزانِ الإسْلامِ»، لصَاحبِه عبْد العزيز عبد الرحمن قَارة، عَن دارِ البشْري بجدّة، في طبعته الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م. وقَد تناولَ الكاتِبُ في هذا الفَصل مختلفَ العُنصرياتِ التي تحدّثَ عنْها القُرآن الكريمُ، وطعّم ذَلك بما جَاء في السّيرة، وبالأحادِيث النبويّة، ودِراستُنا تتقاطعُ مَع ذلكَ في ثلاثِ نقاطٍ: تناولِ عنصريّة إبليس، ومَا جاءَ في الآيات ١١،١٢،١٣ من سُورة الحجراتِ، وعُنصريّةِ اليَهود.

والثانيةُ: موسومةٌ بـ«العنصريّةُ اليهودية وآثارُها في المجتمعِ الإسلامي والموقفُ

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

منها»، لأحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، صدرت في ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م، عن مكتبة العبيكان بالرياض، وهي دراسة قيّمة شاملة عن العنصرية اليهودية من حيث مفهومُها، ومصادرُها، ثم مقوّماتها وأهدافُها. وقد أفدتُ منها في التعرّفِ علىٰ الآيات القرآنية التي تضمّنت أقوالا عنصرية لليهود، وذلك في المبحث الثالث المعنون بـ«النفسيّة اليهوديّة»، من الفصل الثالث الذي عنوانه «مقوّمات العنصرية اليهودية»، وفي هذا المبحث استعراض وافٍ للأقوال العنصرية التي حكاها القرآن الكريم عن اليهود.

والثالثةُ: بعنوان «آفةُ العنصريّة: المسبّبات والحلُول؛ دراسةٌ موضوعيّة في ضوءِ السّنةِ النبويّة»، لصاحِبها سامر ناجح عبد الله سمارة، منشورةٌ في مجلّة معَالم القرآن والسّنة، العدد ١٦، ٢٠٢٠م، ص ١٠٧-١١٩. وقدْ حاولَ صاحبُها تفسيرَ ظاهرةِ العنصريّة، وتحديدَ مسبّباتها؛ واستخراجَ الحلولِ المناسبةِ لمكافحَتها، وتصنيفَها؛ بما يَنتج عنه تحقيقُ استقرارٍ مجتمعيّ بين القَوميَّات والأعراقِ المختلفةِ وذلكَ من خلالِ الأحاديثِ النبويّة. وتتقاطعُ هذه الدّراسةُ، هي الأخرىٰ، معَ دراستِنا في النّقطتيْن الأوليينِ مما ذَكرنا في التّقاطعِ معَ الدّراسةِ السّالفةِ، وأمّا ما سِوىٰ ذلكَ فقدْ ركّزت هذه الدّراسةُ علىٰ الأحادِيث النّبويّة. ولا أُنكِرُ أنّني أفدتُ من هذه الدراسات جميعها، ولا سيمَا الأولىٰ، كما أفدتُ من دراساتٍ أخرىٰ أثبتها في لائِحة المراجِع.

وإذ تتقاطعُ دراستي مع هذه الدراسات في النّقاط التي ذكرتُ، فإنها تختلِفُ عنْها في تركِيزها علىٰ نوعٍ معيّن من العُنصرية، وهو العُنصريّة القوليةِ، انطلاقًا مِن تحليلِ الآياتِ القرآنيّة في المقامِ الأوّل، مُستعينةً ببعْض آلياتِ تحليلِ الخطابِ الحدِيثةِ.

٤- منهجُ البحْث:

اعتمدَ البحْثُ منهَجًا وصفيًّا تحليليًّا، عمدْتُ فيهْ إلىٰ تحليلِ الآياتِ القرآنيّة التي تناولتْ ظاهْرةَ العَنصريّة القوليّة، بمنهَج تَساندِيّ يستعينَ بمعطياتٍ عديدةٍ: سياقيّة، ولغويّة، ومنطقيّة، وآلياتِ التحليلِ الحجاجِي للخطابِ، مع الاستئْناسِ بما جَاء في كُتب التّفسير، محاولا ربطَ الآياتِ بالواقعِ المعاصرِ بغيةَ ترهينِ خطابِ القرآنِ الكريمِ في حياتِنا المعَاصرةِ بما يخدُمها وينهضُ بها نحوَ الأفضلِ.

٥- خُطةُ البحث:

اتّبَعْتُ خطةً أراها مناسبةً لمعالجةِ إشكاليّة هذِه الدّراسة؛ إذ تمّ تقسيمُها إلىٰ:

مُقدّمة: تتضمّن أهمّ العناصرِ العلميّة في البُحوثِ: موضوعُ البحثِ، وإشكاليّتهُ، وأهدَافُه، ومنهجُه، وخطّته.

مَدخل: مهّدتُ فِيه للموضوعِ بتَناولِ تاريخِ العُنصريّة، وبعْض أسبَابها مُنذ القَديم، والتّأكيدِ علىٰ اسْتمرارِها في عصْرنَا الحالِي.

وأمّا متْنُ البحْث فقُسّمَ إلىٰ مبْحثِين:

المبحثُ الأوّل: العُنصريّة: تاريخُ المفهومِ وأنماطُ الظّهور.

ووزّعْتُهُ إلىٰ مطْلبين:

المطلبُ الأول: تاريخُ مفهومِ العنصريّة.

المطلبُ الثاني: خطورةُ العنصريّة القوليةِ (الكلامية).

والمبحثُ الثاني: خِطابُ العنصريّة القوْليّةِ في القرآنِ وطُرق مُعالجته.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

وقسّمتُه إلىٰ خمسةِ مطالبَ علىٰ النّحو الآتي:

المطلبُ الأوّل: عنصريةُ إبليس وعقابُه دليل إدانتِها في القرآن.

المطلبُ الثاني: اختلافُ الفروع لا يلْغي وحدةَ الأصلِ.

المطلبُ الثالث: الاختلافُ مدعاةٌ للتّعارفِ لا للتّمييز.

المطلبُ الرابع: أوّل رسولٍ في مواجهةِ العنصريّة بين قوْمه.

المطلبُ الخامس: الخطابُ القرآني وردُّ مزاعِم اليهودِ والنّصارىٰ العنصريّة.

ثمّ خُتمَ البحْثُ ببعضِ النتائجِ وأهمّ التّوصياتِ.

مدخل

العنصريةُ ظاهرةٌ وآفة قديمةٌ قدمَ الإنسانية، ترتبِطُ حكايتُها بحكايةِ خلق الإنسانية وتطوّرها؛ ذلك أنّها تعودُ للحظاتِ الأولىٰ لخلقِ الإنسان في الملكوت الأعلىٰ، كما جسّدها إبليس حينما رفضَ السجودَ لآدم عليه السلام، مدعيًا خيريتَه، وأفضليةَ عنصر خَلقه (النار) علىٰ عنصر خَلق آدم (الطين). ومنذُ نزولِ آدم إلىٰ الأرضِ وتكاثر ذريتِه والعنصريةُ متفشيةٌ بأشكالها المختلفة، لدواعي متعدّدة منها: الحقدُ والحسدُ، والاعتدادُ باللونِ والجنس، وزعم الأفضلية علىٰ مستوىٰ النّسَبِ والدينِ والأصلِ، بل وادّعاء الألوهية أحيانًا، وغيرها من مظاهرِ تضخِيم الأنا وتنزيلِها مكانةً تفوقُ فيها غيرها من الذوات الأخرىٰ. وفي الوقتِ الحالي الذي تدّعي فيه البشريةُ أنّها تعيشُ عصورَ التقدُّم والتطوّرِ التي لم يسبقْ لها مثيلٌ، تظهرُ أشكالٌ مختلفةٌ من السلوكاتِ العنصرية التي تُكَذّبُ مزاعمَ هذا التطوّر، وتكشفُ عورتَه وزيفَ القيمِ المزعومةِ بهتانا؛ فما عرفَهُ العالمُ في القرنِ العشرين منْ حروبٍ وإباداتٍ جماعيةٍ نشبتْ غالبيتُها لأسبابٍ عنصريةٍ، ولا زالتِ البشريةُ تكتوي بنارِ هذه الآفة إلىٰ عصرنَا هذا وإلىٰ حين كتابةِ هذه السطورِ، وقد يستمرُّ هذا الوضعُ إذا لم يتدخّل عقلاءُ العالم للحدّ منْه.

والعنصريةُ سلوكٌ هجين تمجّه الأذواقُ السليمة، وترفضُه الفطرُ النقية؛ فقد أدان هذه الآفةَ الأنبياءُ والرُّسلُ، والعقلاءُ والحكماءُ، وكلُّ ذوي الأفكارِ السويّةِ؛ فممّا قاله أريسطو (ت٣٢٢ ق.م) منذ العصور القديمة، وما كان ليقُولَه لولا أنّ

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

العنصريةَ كانت متفشيةً في زمانه: «لا بياضُ الإنسان ولا سوادُه يشكلان اختلافاتٍ محدّدةً، ولا يوجدُ فرقٌ محدّد بين الرجلِ الأبيض والرجلِ الأسودِ»[1]. وربما كانت محاربةُ هذا الداء وما ينتجُ عنه من تقاتل وصراعاتٍ بين بني البشرِ سببًا من أسباب بعثةِ الأنبياء والمرسلين، الذين جاؤوا بدينٍ واحدٍ، وإن اختلفت الشعائرُ؛ دينِ السلام والوحدةِ البشريةِ الذي ينظرُ إلىٰ البشرِ جميعا علىٰ أنّهم سواسيةٌ في العبودية لله الواحدِ، الذي سوّىٰ بينهم حينما خلقَهم من أصلٍ واحدٍ. ومن هنا كان للدياناتِ السماوية دورٌ كبير في التنديدِ بهذه الآفةِ الخطيرة، والتحذيرِ من آثارها السيئةِ والوخيمةِ في تقويضِ أسسِ البناءِ الأخويّ بين البشر، ولعلّ الدين الإسلاميّ قد حملَ علىٰ كاهله أعباء محاربةِ هذه الظاهرةِ باعتباره الدّينَ الخاتمَ والموجّهَ للعالمين كافّةً.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أحدَ أهمّ أسبابِ انتشار العنصريّةِ هو ابتعادُ البشريةِ عن الالتزام بتعاليمِ ربّها، واعتدادُ بعض الفئاتِ والأقوام بأنفسِهم، وبما وصلوا إليهِ من تقدّم ادّعوا به الفضلَ لأنفسهم، بالإضافة إلىٰ سيادةِ القيمِ الماديةِ والنفعيةِ علىٰ حسابِ قيمِ الرُّوحِ والقلبِ. فلمّا جاء الدينُ الإسلاميُّ وجدَ المجتمعَ العربيَّ -ومعه العالمُ- غارقًا في مستنقعٍ من السلوكياتِ المنحرفةِ والمشينةِ التي تُسيء إلىٰ البشريةِ، وتمسّ بقيمةِ الأكرميةِ التي خصّها بها اللهُ سبحانه علىٰ باقي المخلوقاتِ الأخرىٰ، ومن هذه السلوكيات سلوكُ العنصريةِ التي كانت تُقسّم المجتمعَ -جورًا- إلىٰ أسيادٍ وعبيد، ووجهاءَ ووضعاءَ، وأشرافٍ وأنذالٍ، وذوي الأنساب واللقطاءِ...

(1) Nicole SAVY : «Le racisme à travers l'histoire : choses, mots et idées», Hommes & Libertés N° 172, Décembre 2015, p.35.

لقد اتخذت العنصرية منذ القديم، ولا تزال، أنماطًا مختلفةً من الظهور، منها القوليُّ والفعليُّ، ونحن نفترضُ أنّ أخطرَ أشكالِ العنصرية هو العنصريةُ القوليةُ؛ فخلف كلّ فعلٍ قولٌ هو الذي يُحرّكُه ويحفّزه ويذكِي نارَه؛ فكم من الحروبِ التي نشبتْ، ومن الدماء التي أزهقتْ، ومن النزاعات التي طالتْ، كانت بسببِ كلمةٍ أو قولٍ؛ فخطورةُ الكلمة كبيرةٌ وآثارُها وخيمةٌ.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

المبحث الأول:

العنصرية: تاريخُ المفهومِ وأنماطُ الظهور.

المطلبُ الأوّل: تاريخُ مفهوم العنصريّة.

من شأنِ البحث عن مفهومِ العنصريةِ في المعاجم القديمةِ أن يكونَ غير ذي جدوىٰ؛ ذلك لأنّ هذه المعاجمَ تكادُ تخلو من ذكرٍ لهذا المفهوم بهذا المصطلحِ بالضبط: «العنصرية»، فكلُّ ما فيها حديثٌ عن العنصرِ المقابل لـ «race» الأجنبية. جاء في لسانِ العرب: «العُنْصُر والعُنْصَر: الأَصل... ويقال: هو لَئِيم العُنْصُر والعُنْصَر، أَي: الأَصل، قال الأَزهري: العُنْصرُ أَصل الحسب»[٢].

إنَّ العنصرية باعتبارها مصطلحًا دالًّا علىٰ المفهومِ كما هو شائعٌ حديثًا لم يكنْ معروفًا، ولا وجود له في المعاجمِ القديمةِ؛ بل حتّىٰ في القواميس الغربيةِ المعاصرة، فهو لم يتبلْور إلا بعدَ انقضاء الربع الأول من القرن العشرين. فقد رصدَ فرانسوا دي فرنتيت مراحلَ ظهور هذا المصطلح عند الغرْب وربطَ بدايتَه بقاموس لاروس (١٩٣٢). ثم إنّ كلمةَ «عنصرية» لم تدخلْ لقاموسِ لاروس الصغير المصوّر إلا في ١٩٤٦، وظلَّ مفهومُها يتطوّرُ إلىٰ أن أصبحَ أكثرَ دقّةً في ١٩٦٠؛ إذ أضْحىٰ يعني: «النظامَ الذي يؤكّد تفوّقَ مجموعة اجتماعية علىٰ آخرين، ويوصي بشكل خاصّ بعزلِ

(٢) ابن منظور الإفريقي، «لسان العرب». تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (د.ط، دار المعارف، د.ت)، مادة (عنصر).

هؤلاء داخل بلد (التمييز العنصري)»[٣]، وسيتمّ انتظار سنة ١٩٩٢ إذ سيظهرُ التعريفُ الذي مقتضاه أنّ العنصريةَ: «موقفٌ عدائيّ مطلقٌ تجاه فئةٍ معيّنةٍ من النّاس»[٤].

وقد اشتهرَ تبلورُ مفهوم «العنصرية» بناءً على الفظائع الوخيمة التي أحدثتْها النازيةُ الألمانية في العنصر اليهوديّ إبان الحربِ العالمية الثانية، وسرعان ما ارتبطَ بمجموعة من الصراعاتِ والنّزاعات في مناطق مختلفةٍ من العالم: منها قضيةُ السّود في أمريكا، «إذ تمّ ترحيلُ أحد عشر مليون إفريقيّ من قبل الأوربيين إلى أمريكا، وشراؤهم وبيعهم كعبيد، بما في ذلك مليون ماتوا في البحرِ»[٥]، وهم يعيشون اليوم التمييز العنصريَّ، ومنها قضيةُ المهاجرين في أوربا، وقضيةُ العرب الفلسطينيين في فلسطين، وقضيةُ المسلمين اليوم في جميع أنحاءِ العالم وما يتعرضون له من عنصريةٍ نتيجةَ الأفكارِ الخاطئة التي يروّجُها عنهم الإعلامُ العالميّ العنصريّ المضلّل.

وقد كان للجرائمِ التي ارتُكِبت باسمِ العنصرية أثرٌ في تحريكِ الضمائرِ الحيّة واجتماعها لمناهضةِ هذه الآفة، فكان أن تشكّلت الأممُ المتّحدة واعتمدت الإعلانَ العالميّ لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨، والذي جاء في أول مادة منه «يولدُ جميعُ الناس أحرارًا متساوين في الكرامةِ والحقوق وقد وُهِبوا عقلًا وضميرًا، وعليهم أن يعاملَ بعضُهم بعضا بروحِ الإخاء». ومن ثمّ أصبحت العنصريةُ مشكلةً تشغل الرأي العامّ العالميّ، وتقضُّ مضجعَ العالم بما تثير من نعراتٍ وصراعات، وهكذا صارَ التفكير في القضاء عليها -أو على الأقلّ التخفيفُ من تبعاتِها- أمرًا يفرض على عقلاءِ العالم

(٣) فرانسوا دي فونتيت، «العنصرية». ترجمة عاطف علبي، (ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩م)، ص٨.

(٤) فرانسوا دي فونتيت، «العنصرية»، ص٨.

(5) Nicole SAVY : «Le racisme à travers l'histoire : choses, mots et idées», p.35.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

الانشغالَ به، وهكذا جاء إعلانُ ١٩٥١ ليؤكّدَ من جديدٍ علىٰ «وحدة الجنسِ البشريّ، وعلىٰ كوْن كلّ الناس قد انحدَروا من نفس الأرومة»[٦]، وهو الأمرُ الذي أكّدَه المؤتمَر العامّ لليونسكو[٧] كذلك في ١٩٧٨ و«الذي اجتمعَ فيه خبراءُ أكثر من ١٠٠ دولة»[٨].

لكن علىٰ الرّغم من كلّ هذه المساعي الراميةِ إلىٰ محاربةِ العنصرية فإنّها تنتشرُ بشكل مهْول؛ فهي اليوم توجدُ «في جميع أنحاءِ العالم. وهي موجودة في أماكنِ العمل والتعليم والرعاية الصحيّة والمحاكم. ويمكن العثور عليها في وسائل الإعلامِ والإنترنت»[٩].

إنّ مفهومَ العنصرية لم يتمّ تدقيقه إلا في السنوات الأخيرة، بسبب التطوّرات التي شهدها العالمُ بخصوصها، فمن التعاريف التي أسندَها إليها الباحثون المعاصرون أنّها ظاهرة «معترَفٌ بها في كل مكان تقريبًا، في كلّ المشاعر السلبية (الكراهية، الاحتقار، الاستياء)، وفي جميعِ أشكال التمييز وجميعِ أشكالِ الإقصاءِ»[١٠].

---

(٦) فرانسوا دي فونتيت، «العنصرية»، ص٢٠.

(٧) «يونيسكو» هو الاسم المختصر لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، التي تسعىٰ إلىٰ بناء السلام بالتعاون الدولي في مجالات التربية والعلوم والثقافة، كما تسهم برامجها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة المحددة في جدول أعمال عام ٢٠٣٠م، الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠١٥م.

(٨) فرانسوا دي فونتيت، «العنصرية»، ص٢١.

(9) Kevin Boyle: “Introduction”, in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005p.1.

(10) Pierre-André Taguieff et Michel Wieviorka : Le Racisme, Le Multiculturalisme, Cahier du CEVIPOF n° 20, 1998, p.4.

ويُعرّفها باحثٌ آخر راصدًا أهمّ خصائصها ومظاهرِها مبيّنًا أنّها من النوع الكونيّ القائمِ علىٰ إنكارِ الهوية، ومن النّوع التفاضلي علىٰ أساسِ إنكار الإنسانية. يقول موضّحًا: «دعونا نحدّدُ هذا التمييز الأساسيَّ: إنّ العنصريةَ المستمدّة من العالمية المجرّدة لا تعترفُ بالكرامةِ الخاصّة لمجموعة كذا وكذا، وهي مُعترَفٌ بها من خلال رفضها المطلق للحقّ في الاختلاف، ومن خلال نفْيِها للتنوّع البشريّ كقيمةٍ»(١١).

وتتخذ العنصريةُ في عصرنا الرّاهن مظاهرَ مختلفةً منها(١٢):

١- المواقف: (الآراء، المعتقدات، التحيزات، الصور النمطية، وتتجلّىٰ في أنماط مختلفة من الوصم (الإهانات، والشتائم، والدعوات للكراهية، والتهديدات، وما إلىٰ ذلك)، وهذه من أخطر أنواع العنصرية لأنّها يسهلُ ممارستها وإذاعتها ما دامت تعتمدُ علىٰ القولِ والكلام.

٢- السلوكيات أو الممارسات الاجتماعية: (من التجنّب إلىٰ التمييز والاضطهاد، المرتبطة أو غير المرتبطة بالتعبئة الجماهيرية).

٣- الأداء المؤسسيّ من النّوع الإقصائي: (ما يطلق عليه «العنصرية المؤسسية»).

٤- الخطابات الإيديولوجيّة، المرتبطة أو غير المرتبطَة بالبرامجِ السياسية.

وممّا يذكي نارَ العنصرية رياحُ العولمة؛ فاعتبار العالمِ «قرية صغيرة» لم يُنتِج في الحقيقة إلا مزيدًا من «القُريّات» داخل هذه القريةِ، ومزيدًا من العزلةِ، والتفْرقة بين الشّعوب والفئاتِ والأقليات، وقد كان لأحداثِ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتّحدة، بالغُ التأثير في زيادةِ منسوب العداءِ للمهاجرين

(11) Ibid, p.6.

(12) Ibid, p.13.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

وطالبي اللّجوء في العديدِ من بلدان أوروبا وأمريكا ولا سيما المسلمون. كما أنّ العنصريةَ، والتمييزَ العنصريّ، وكرهَ الأجانب، وما يتّصلُ بذلك من تعصّب يرجع في شقّ منه إلىٰ التفاوتِ بين دول الشّمال والجنوب؛ و«التوزيعِ غير المتساوي للثروة والتهميشِ والاستبعاد الاجتماعي»[١٣].

◆ ◆ ◆

(١٣) المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب. (نيويورك، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ٢٠٠٣)، ص١٢.

المطلب الثاني:
خطورةُ العنصرية القولية (الكلامية)

إنّنا نعتقدُ أن القول/الكلام/الخطاب له تأثير بالغٌ في سلوكِ الأفرادِ والجماعات، وقد كان وراء أكبر الأحداثِ التاريخية التي عرفتها البشرية، انطلاقًا من افتراضٍ يربط بين الكلام، باعتباره خطابًا، والفعل باعتبارهِ إنجازًا مترتّبًا عن الكلام؛ ذلك أنّ الكلامَ «لا يكونُ إلا فعلًا جاريًا في الواقعِ، وحدًّا جالبًا لأثرٍ في التاريخ»(١٤). فالخطابُ -كما في العادة- وإن كان من منتِج عاديّ فلا بدّ وأن يكون له أثر في متلقيه يُمكن أن يتجلّىٰ في الأثرِ النفسيّ كأخفّ صورة لهذا التأثير، «ولا يُتصوَّر في الواقع والعادة الجاريةِ في الخلقِ كلامٌ بلا أثرٍ مطلقًا ألبتّة»(١٥). إذا كان هذا حالُ الكلامِ العاديّ، فما أدراك بخطابٍ مشحون بعباراتِ الكراهية والتّحقير والإهانةِ والاستعلاء؟ لا شكّ أنه سيفعل فعلَه، وستنتُجُ عنه ردودُ أفعالٍ قويةٌ، ممّا يؤكّد أن الخطابَ أمرٌ حاسم في الفعلِ سابقٌ عليه ومُنتجٌ له؛ أي أن «الكلامَ مؤثر جدًّا في إنتاج الفعلِ الإنسانيّ، بل هو عينُ الفعل الإنسانيّ، ولا شيء من فعلِه إلا وهو حاصلٌ بالكلام مباشرةً أو نتيجةً، أو توجيهًا، أو تفاعُلًا»(١٦).

من هنا كانَ للخطابِ العنصريّ أثرُه الكبيرُ في تفاقُم هذه الظاهرة الخطيرةِ وانتشارِها، وكان تحذيرُ القرآن الكريم من إطلاقِ القولِ والتنبيه إلىٰ خطورتِه، قال

(١٤) فريد الأنصاري، «مجالس القرآن، مدارسات في رسالات الهدىٰ المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلىٰ البلاغ». (ط٤، دار السلام، ٢٠١٥هـ)، ١:٣٠.

(١٥) الأنصاري، «مجالس القرآن»، ١:٣٠.

(١٦) الأنصاري، «مجالس القرآن»، ١:٣٣.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، فنبَّه علىٰ أنّ الإنسانَ مسؤولٌ عن أقواله، وهي تُسجّلُ عليه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ، والوِزرُ يتضاعفُ كلّما كانت هذه الأقوالُ شرًّا يُسيء إلىٰ الآخر ويجرحُه، وممّا لا شكّ فيه أنّ الأقوالَ العنصريةَ داخلةٌ في هذا البابِ. فالكلامُ إذا كان جارحًا واخزًا فإنّه يؤثّر في سامعه أيًّا كانت مكانتُه وأيًّا كان صبرُه، وقد حكَىٰ اللهُ تعالىٰ أنّ قولَ المشركين وتكذيبَهم للنبي ﷺ كان يُحزنه فقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]. كما ذمّ ﷻ تغامزَ الكفارِ علىٰ المسلمين وتعييبَهم والسخريةَ منهم؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٢]، وتوعّدهم بأنّ العاقبةَ في النهاية وخيمةٌ عليهم؛ فقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:٣٤]، بمعنىٰ أنّهم سيضحكون عليهم يومَ القيامة، أي في مقابلةِ ما ضحكَ بهم أولئك في الدنيا، كما في تفسيرِ ابن كثير.

إنّ هذه الآياتِ وغيرَها تبيّن خطورةَ الكلام العنصريّ الذي كان متداولًا في عصر البعثةِ النبوية وقبلها؛ يومَ كانت سبلُ انتشار الكلامِ وذيوعِه قليلةً وبطيئةً، أما في زمنِنا الذي أتاحتْ فيه التكنولوجيا والإنترنت إمكانيةَ تداولِ الكلام عالميًّا فإنّ خطورةَ الكلام العنصريّ تزدادُ، ويزدادُ الخوفُ من آثارها في إذكاء نارِ العصبيات والنّعرات العنصرية؛ لذلك فإنّ المفكرين والخبراءَ ينبّهون علىٰ أهميّة وسائلِ الإعلام وتأثيرها علىٰ العنصريةِ؛ إمّا سلبًا بتعزيز خطابِها وإذاعته، وإما إيجابًا بالتّحذير منها والحدّ من انتشار خطابِها. فعندما يكونُ الإعلامُ عنصريًّا فإنّه يُسهم في تكريسِ رؤية عنصريةٍ للواقعِ الاجتماعيّ من خلال حجْبِ المعلومات الإيجابيةِ

عن الجماعات المستهدفةِ من قبل العنصريّين. وبالمقابلِ، وبنوعٍ من التّحامل «تُركّز وسائلُ الإعلام في الأخبارِ المتعلقة بالأقليات العرقيّة والثقافية والدينية والمهاجرين في أوروبا علىٰ السلبيّة والمشاكلِ والجريمةِ»(١٧).

ومن الناحية الإيجابيةِ فإنّ وسائلَ الإعلام -كما يقرّ إعلانُ ديربان(١٨)- يمكِنُها أن تمنحَ القرّاءَ والمشاهدين والمستمعين نظرةً ثاقبةً وفهمًا لخلفيات وثقافاتِ وديانات أفرادِ الأقليات العرقية. فإذا تمّ وصفُ المشاكل التي يواجهُها المهاجرون والأقليات العرقية بطريقة موضوعية، فإنَّ هذه المعلومات ستساهم بلا شكّ في «بناء الجسورِ بين الأقليات والأغلبية»(١٩). لكن -وللأسف- في كثيرٍ من الأحيان تُركّز وسائلُ الإعلام بشكل مفرطٍ علىٰ الجرائم العرقية والجرائمِ التي يقترفُها المهاجرون؛ فتربطُ من خلال العناوين الرئيسيةِ بعضَ السلوكيات المنحرفةِ والإجراميةِ المشاعة بين الجميعِ في المجتمع بأصلٍ قوميّ معين أو لون مجموعةٍ بشريّة. «وتميل تقاريرُ الجرائم المتعلقة بالمهاجرين وطالبي اللّجوء أيضًا إلىٰ أن تكون أكثرَ إثارةً ويتمّ

(17) Kevin Boyle: "Introduction", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005, p.8.

(١٨) هو خطة أممية لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب علىٰ الصعيد العالمي، فضلًا عن أنه الوثيقة التي تمثل التزامًا راسخًا من المجتمع الدولي بمعالجة هذه القضايا. ويقرّ أنه لا يوجد بلد يمكنه أن يدّعي أنه بمنأىً عن العنصرية، كما يقر أن العنصرية مصدر قلق عالمي، وأن التصدّي لها يتطلب جهدًا عالميًّا.

(19) Bent Sørensen: "Racism, the media and the Internet", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005, p.166.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

وصفها بطريقة أكثر وحشيةً وعنفًا من التقارير العامّة حول الجرائم المحليّة»[٢٠].

من هنا كانَ علىٰ المشتغلين بوسائلِ الإعلام أن يُدركوا جيدًا التأثير المحتملَ لما ينشرونه من حيث الكلماتُ والعناوين والصوّر، حتىٰ يكون إسهامهم في محاربة العنصريةِ فاعلًا. وللقيام بهذا الدورِ الإيجابي «يجبُ أن تعكسَ وسائلُ الإعلام التنوّعَ الثقافيَّ وتوفّرَ التمثيل والصوتَ لجميع الفئات الاجتماعية والثقافات الفرعيةِ. وفي الوقت نفسه، يجبُ عليها تجنّب الممارسات التمييزية والتعهّد بنقل المعلومات بطرقٍ تضمنُ الإنصافَ والمساواة»[٢١] للجميع، كما عليها أن تعملَ علىٰ توجيه بعضِ موادّها خصيصًا للتحسيسِ بخطورةِ هذه الآفة والتحذير منْها.

إنّ كلّ فعلٍ خطير، في الغالب، وراءه قولٌ خطير هو الذي يولّده ويدعو إليه ويُسعّر نارَه، لذلك كانت العنصريةُ القولية أخطرَ أنواع العنصرية وأصلَها، ووعيًا منها بذلك دعتِ الأمم المتّحدة إلىٰ حثّ الدولِ «علىٰ تشجيعِ وسائط الإعلامِ علىٰ تجنّب القوالبِ النمطية القائمةِ علىٰ أساس العنصرية»[٢٢]، ومن النّاحية الأخرىٰ إلىٰ «التنديد ببثّ الأفكار العنصريةِ والمعادية للأجانبِ عبر كافّة وسائل الاتصالات»[٢٣]، وذلك بالنّظر إلىٰ الدور الخطيرِ الذي تحظىٰ به هذه الوسائل في توجيهِ الرأي العامّ والتأثير فيه سلبًا أو إيجابًا، فهي السلطةُ الرابعة كما يسمّونها، وربما أكثر السُّلَط تأثيرًا في زمننا الحالي.

(20) Kevin Boyle: “Introduction”, in Dimensions of Racism, p.8.

(21) Bent Sørensen: “Racism, the media and the Internet”, in Dimensions of Racism, p.176.

(٢٢) المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ص٧٧.

(٢٣) المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ص٧٨.

المبحث الثاني:

خطابُ العنصرية في القرآن وطرق معالجته

لمّا طالت الفترةُ بأمّة العرب دخلتْ في ليل طويل بهيمٍ لم تعرف فيه معنىٰ للمساواة والعدل واحترام كرامة الإنسان ذكرًا كانَ أم أنثىٰ، فكان المجتمعُ العربي مبنيًّا أساسًا علىٰ القبليّة والعصبية، والتفاخرِ بالأنسابِ والأحساب، حتّىٰ طلع عليهم محمّد ﷺ بدين الإسلامِ الذي جاءهُم «بهذه المساواة كما تطلعُ الشّمس في أعقاب ليل باردٍ طويل لم يكن الناسُ يعرفونها بهذا الشّمول قبله، ولم يصلوا إلىٰ مقرراته فيها بعده»(٢٤). وقد تضمّن القرآن الكريم -كتابُ الدعوة الإسلامية- إشاراتٍ عديدةً تدين العصبيةَ والتمييز وتدعو إلىٰ إقرارِ المساواة والعدلِ بين المعنيين بالرسالة أنفسِهم، وبينهم وبين غيرهم من بني البشرِ من الأمم والشعوب والملل والنّحل الأخرىٰ.

(٢٤) محمد الغزالي، «هذا ديننا». (ط٥، دار الشروق، ١٤٠٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٤٧.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

المطلب الأول:
عنصريةُ إبليس وعقابُه دليل إدانتِها في القرآن

من القَصص التي قصّها علينا القرآنُ في مواضع مختلفة قصةُ خلق آدم وما صاحبها من أحداث مهمة، وهذه المواضع سبعةٌ على النحو الآتي: البقرة، والأعراف، والحِجر، والإسراء، وطه، والكهف، وص. والذي يهمّنا منها هو ردُّ إبليس القوليُّ لمّا أمره الله تعالىٰ بالسجود لآدم، ثم تعليقُ القرآن الكريم على جوابه، وفيما يلي استعراض لأجوبة إبليس مرتبة بحسب ترتيب السّور:

في الأعراف: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢].

في الحجر: ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر:٣٣].

في الإسراء: ﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [الإسراء:٦١].

في ص: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص:٧٦].

فالظاهرُ من هذه الأجوبة أنّها تطفحُ بطابعِ العنصرية على أساسِ العنصر ومادّة الخلق، فإبليسُ امتنع عن امتثال أمر الله تعالىٰ له بالسجودِ لآدم بناء على اعتزازِه بعنصُره وادّعائه الأفضليةَ من حيث أصل الخلقة، فقد ادّعىٰ فضلًا للجنسِ الذي خُلق منه وهو النار، وزعمَ أنّ الطين الذي خُلق منه آدم أحطّ قيمةً من النّار التي خُلق منها هو، وهذا تمييز عنصريّ بيّن؛ لأنّه حين ادّعىٰ ما ادّعىٰ نسيَ أنّه هو وآدم متساويان في الخلقِ، فخالقُهما واحدٌ، هو الله تعالىٰ، وهو الذي اختارَ بحكمةٍ لا

يعلمُها إلا هو أن يجعلَه هو من نار، وآدم من طينٍ؛ ولما كان إبليس مخلوقًا أيضًا مثله مثل آدم، فلا حقّ له في ادّعاء أفضليةٍ وخيريةٍ لا دخلَ له فيها. فقد نظر للأمر من جهةِ العنصر والمادّة، وغابَ عنه النّظر من جهة الفاعلِ الذي خلقهُما معا وهو الله تعالىٰ الذي لا يُسأل عمّا يفعل.

وبعودتِنا إلىٰ أقوال إبليس وتحليلها بلاغيًّا يمكنُنا رصدُ مكامن العنصرية فيها علىٰ النّحو الآتي:

ففي قوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، أنانية كبيرةٌ، ومعارضةٌ لله، وإعجابٌ بالنّفسِ وتكبّر لا مثيلَ لهما، وفي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ﴾، تكبّرٌ أيضًا واحتقارٌ لآدم، ففي تنكير «بشر»، معنىٰ الإهانة والاحتقارِ، وهو أمر مقصودٌ لا سيما أنّه هو البشريّ الوحيد حينها، فالتنكيرُ هنا للتحقير من آدم والتصغير من شأنِه. واللام لتأكيدِ النفي، كما أن الوصفَ الذي وصف به إبليس الطينَ وصف له في أخسّ وأحطّ أحوالِه، فهو متغيّر ومنتِن. وفي قوله: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ استفهامٌ يحتملُ هنا معنىٰ النفي، بمعنىٰ لا أسجدُ، ومعنىٰ الاعتراضِ، ومعنىٰ الإنكارِ، ومعنىٰ الاستهزاءِ أيضًا، أفاده ما بعده (خَلَقْتَ طِينًا)، وكأنّه يقولُ: أأسجدُ، وأنا من أنا! المخلوق من عنصرِ النارِ لهذا المخلوق من الطين الذي هو أدنىٰ من النّارِ؟

ولمّا كانَ جرمُ العنصريةِ الذي اقترفَه إبليسُ عظيمًا، كان الردّ من الله تعالىٰ أقسَىٰ وأشدّ، وكانت العقوبةُ كبيرةً؛ وفي ذلك دليلٌ قاطعٌ علىٰ مناهضةِ هذا الدّين للعنصرية وتوعّد كل مدّع لها داع إليها؛ ففي البقرةِ وصف سلوكَه بالاستكبارِ والكفرِ إذ قال: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، وفي الأعرافِ جعلَه من الصاغرين فقال: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣]، وفي معنىٰ الصّغار الذل والمهانة. وقال له أيضا: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨]، أي «خروج صغار واحتقار، لا خروج إكرام بل (مَذْءُومًا) أي: مذموما (مَدْحُورًا) مبعدًا عن اللّه وعن رحمته وعن كل خير»(٢٥). وقد ناسبتْ هذه العقوباتُ تقابليًّا مظاهرَ عنصريته؛ فلما تكبّر وادّعىٰ الفضلَ جعله من الصاغرين، وأخرجَه من الجنّة التي اغتر فيها بنفسه، ولما ادّعىٰ العزةَ جعلَه ممقوتًا محتقرًا مبعدًا عن الرّحمة. وفي سورتي الحِجر وص قال له: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر:٣٤، ٣٥] وفي ص: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:٧٨]، فجعلَه مطرودًا من رحمته مبْعَدًا عنها لا طمع له فيها. وفي الكهفِ وصفَه بالفاسقِ الخارجِ عن طاعته. وهذه عقوباتٌ قاسية، والأقسىٰ أنّها لا رجعةَ فيها، فقد أغلقَ الله بابَ التوبةِ والرجوعِ أمامه وحكم عليه بالنار، وما أخزاها من عقوبة!

إنّ هذا الوعيدَ الشديدَ الذي ردّ به الله تعالىٰ علىٰ عنصريةِ إبليس وتكبّره وادّعائه الأفضليةَ دليلٌ قاطعٌ علىٰ مقْتِ دينِ الإسلام للعنصريةِ بكل أشكالِها؛ فإذا كان إبليسُ قد استند -لعنه الله- إلىٰ أفضليةِ مادّة خِلْقته، وهو ادعاء باطلٌ علىٰ كلّ حالٍ، وإن كان الفرقُ بين النّار والطين باديا، وكان هذا جزاءَهُ ووعيدَه؛ إذ انحطّ من مرتبته العاليةِ إلىٰ أسفلِ السافلين. فكيف يكون جزاءُ الإنسانِ العنصري الذي لا سندَ له ظاهرًا يعتمدُ عليه في عنصريته تجاه أخيهِ الإنسان، فحريّ بنا أن نتدبّرَ كلامَ الله وقصةَ إبليس هذه لنتّعظَ ونكفّ عن اقتراف العنصريةِ تحت أي ذريعة كانت.

(٢٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٢٨٥.

لقد زعمَ إبليسُ أنّ النارَ التي خُلِق منها عنصرٌ أفْضل وأشْرف وأنقىٰ من الطينِ الذي خُلق منه آدم، فاحتقر آدمَ ونظر إليه نظرةً دونيةً وهو يقول: أنا خير منه، فلمَ أسجد له؟ أأسجد لمن هو دوني في الخلقة؟ لذلك كان-لعنه الله- «أوّل العنصريين، أوّل من أوجد العنصريةَ، عنصريةَ التفاضُل، وعنصريةَ الجنسِ»[٢٦].

وقد تعرّضَ محمّد الأمين الشنقيطي لزعم إبليس العنصري وادعائِه الأفضلية بالنّقد والإبطال معتبرا إياهُ أوّل من قاس قياسًا فاسِدا، فبيّنَ فسادَ هذا القياسِ من ثلاثة أوجُهٍ[٢٧]، **نحبّ أن نستعرضَها مختصرةً هنا، وهي:**

الأوّل منها: لأنهُ مخالفٌ لنصّ أمرِ ربّ العالمين، وكلّ قياسٍ خالفَ أمرَ اللهِ الصريحِ فهو قياس باطلٌ باطلٌ.

الثاني: أنّ إبليسَ كاذبٌ في أنّ النّارَ خيرٌ من الطينِ، بل الطينُ خيرٌ من النّارِ؛ لأنّ طبيعةَ الطينِ الرزانةُ، والتؤدةُ، والإصلاحُ، والجمعُ، أمّا النّارُ فطبيعتها الطّيشُ، والخفّةُ، والتّفريقُ، والإفسادُ.

الثالثُ: أنّا لو سلّمنا تسليمًا جدليا أنّ النّارَ خيرٌ من الطينِ فشرفُ الأصلِ لا يدلّ علىٰ شرفِ الفرعِ، فكم من أصلٍ شريفٍ وفرعُه وضيعٌ، وكم من أصلٍ وضيعٍ وفرعُه رفيعٌ.

◆ ◆ ◆

(٢٦) عبد العزيز عبد الرحمن قارة، «الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام». (ط٢، جدة: دار البشير، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص٢٠.

(٢٧) محمد الأمين الشنقيطي، «العذب النمير»، تحقيق خالد بن عثمان السبت (ط٢، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٣٣هـ)، ص.١١٢١-١٢٢.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

المطلب الثاني:
اختلافُ الفروع لا يلْغي وحدةَ الأصلِ

إنّ من سننِ الله في خلائقه أن جعلَهم مختلفين بناءً علىٰ عناصر عديدة: الجنس، واللون، واللغة...، وهذه آية من آياتِ الله في خلقه دالةٌ علىٰ عظمتِه وحرية تصرفه ونفاذ إرادته، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم:٤٥]، وقال أيضا: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:٢٢]. ففي الآياتِ إشارةٌ إلىٰ أن الاختلاف غير حاصلٍ في البشر فقط، وإنما في الكونِ جميعًا؛ بين السماءِ والأرض، والبرّ والبحر، والحرّ والبرد... وهو سرُّ استمرار الحياة، وكأنّ المراد هو بيان أن الاختلافَ الحاصلَ بين البشر في الجنس واللون واللّسان إنّما هو جزء من سنّة كونية عامة خلقَ الله وفْقها جميعَ المخلوقات هي سنّة الاختلافِ، غير أنّه ليس اختلافًا مطلقًا، وإنما هو اختلافٌ نسبيّ يرجع إلىٰ وحدة وأصلٍ مشترك، مما يعني أن هذا الاختلافَ ليس للتفاضلِ والاعتداد بالأنا واحتقارِ الغير وازدرائِه.

فعلىٰ الرّغم من هذا الاختلافِ، فثمّة أصولٌ مشتركة نبَّه اللهُ عليها وذكّر بها دلالةً علىٰ أن الأصلَ هو الوحدة والتّشارك؛ فقد قال عن الذّكر والأنثىٰ: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٩]، فـ«من» هنا تعني من جنسكم إشارة إلىٰ وحدةِ الأصلِ الأبويّ وهو آدم، ودلّل في إشارة مهمّة علىٰ أنّ الاختلافَ بينهما لن يكونَ مدعاةً للتفرقة والتباعُد، بل علىٰ العكس من ذلك، هو مدعاةٌ للسّكن والتآلفِ والاتحادِ، ومن معاني السّكنِ التّوافقُ والتناسب والأنسُ،

وكلها معانٍ ضدّ الصراع والتمايز. وفي آية أخرىٰ قال زيادة علىٰ غاية التساكن: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]، وقد أشارَ المفسّرون إلىٰ أنّ هذه العبارةَ تتعلّقُ بعمومِ الخلق؛ ذلك أنّ اللهَ جعلَ بين البشرِ بعد أن خلقَهم من نفسٍ واحدة أواصرَ المُصاهرة والرّحم ليتوادّوا بها، ويتواصلوا من أجلِها، وتكون سببًا في اجتماعِهم وتآزُرهم. وفي ذلك ردّ علىٰ الذين يمارسون العنصريةَ ضدّ المرأة، وينعتونها بالدونيةِ والنقصِ، ويضعونَها في مرتبةٍ أحطّ من مرتبةِ الرّجل. وفيما يخصّ اختلافَ الألسنة/ اللغات، فإنَّ الأصلَ الذي تعودُ إليه هو امتلاكُ البشر جميعا لآلةِ الكلام نفسِها، وهي اللسانُ، وجهازِ مخارجِ الحروف نفسِه أيضًا؛ فالخلقُ جميعًا متشابهون في ذلك متساوون فيه. والشيء نفسُه يُقال عن اختلاف الألوان؛ فالجلودُ والمادّة التي خُلق منها الجميعُ تعود إلىٰ أصل ترابيّ واحد. ولمّا تأكّد ذلك فإنّ الغايةَ من تذكير الخطاب القرآني بهذه الحقائقِ والآيات هي محاربةُ أي عنصرية يُمكن أن تقومَ علىٰ أحدِ هذه العناصر المذكورة؛ فالمرأة والرجلُ متساويان في الخلقة، والشيء نفسه يُقال عن البشريةِ جمعاء رغم اختلاف ألوانها وألسنتها.

وقد فهِم النبي الأعظمُ هذه الرسائل، وساقَ خلاصتَها في بيان تاريخيّ عظيم في موقفٍ عظيم اجتمع فيه جمعٌ عظيم، وذلك يوم حجّة الوداع، وسيظلُّ هذا البيانُ أساسَ المساواة والعدلِ الذي يبحث عنه عقلاءُ العالم في زمان التفاوتاتِ والعنصريات، قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، إِلا بِالتَّقْوَىٰ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**»(٢٨). إنّها الدعوةُ التاريخيّة

(٢٨) أخرجه أحمد برقم (٢٣٥٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة برقم (٢٧٠٠).

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

إلىٰ الوحْدةِ، وإلىٰ المساواةِ والعدلِ، وإلىٰ مناهضةِ قيم العنصرية القائمةِ علىٰ اللامساواة والتفرقةِ بين الناس علىٰ أساسِ اللون والأصلِ والعرقِ واللسان. فلا معيار يُعتبر في التفريق بين الناس إلا تقوىٰ الله وإخلاصُ العبودية له، وقد أُقِرّ هذا المعيار من قبل في القرآن؛ إذ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣]. وفي هذا إشارةٌ لطيفة، وهي أن أساسَ التفاضل الوحيدِ هذا يتعلّق بالتّقوىٰ، والتّقوىٰ أمرٌ قلبيّ غيبيّ لا يعلمُه إلا اللهُ؛ بمعنىٰ أنّه يُوكَل للهِ تعالىٰ العالمِ بأسْرار قلوبِ عباده، ولم يوكِلْه للبشرِ حتىٰ لا يحكّموا أهواءَهم وعصبياتهم، فيتحوّل إلىٰ مقياس عنصري يُلبسونه من يشاؤون وينزعونَه ممّن يشاؤون. بل إنّ من تحقّقت فيه التقوىٰ من عبادِ الله لا يمكنهُ أن يتفاخرَ بذلك؛ لأنّه لا يدّعي أنّه تقيّ مخافةَ أن يغترّ.

المطلب الثالث:
الاختلافُ مدعاة للتّعارفِ لا للتمييز

تُشكّل آيةُ التّعارف بسورة الحجرات بيانًا عالميًّا فريدًا ليسَ له مثيلٌ في جميع الشرائع البشريّة والقوانينِ الوضعيةِ، وهو الذي تحتاجُ البشريةُ اليوم تطبيقَ مبادئه إنْ هيَ أرادت العيشَ في سِلم ووئامٍ، ففيها أقرّ اللهُ تعالىٰ أسسَ الحياةِ والعيشِ المشتركِ بين البشر جميعا ذكورًا وإناثًا، بيضًا وصفْرًا وسودًا، عربًا وعجمًا، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣]، وبالنظر إلىٰ محوريةِ هذه الآية في نبذ العنصريةِ والتمييز وإقرارِ المساواة والوحدةِ بين بني البشرِ سنتوقف عندها بتحليلٍ مسْتفيض.

أوّلُ ما يثير في معالجة هذه الآية هو سببُ نزولها؛ فقد ذكر السيوطي سببين[٢٩]؛ الأول: هو أنّه لما كان يومُ الفتحِ رقىٰ بلالٌ علىٰ ظهر الكعبةِ فأذّن فقال بعضُ الناسِ أهذا العبدُ الأسودُ يؤذّن علىٰ ظهرِ الكعبة؟ فقال بعضُهم: أن يسخط الله بغير هذا، فأنزلَ اللهُ الآيةَ. والسببُ الثاني: أنّها نزلتْ في أبي هند لما أمر النبيُّ ﷺ بني بياضة أن يزوّجوه امرأةً منهم فقالوا: يا رسول الله نزوجُ بناتِنا موالينا؟ فنزلت الآيةُ. وذكر المفسّرون سببًا آخر عن ابن عباس[٣٠] قال: نزلتْ في ثابت بنِ قيس، وقوله للرّجل

(٢٩) جلال الدين السيوطي، «أسباب النزول». (ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢٤٢.

(٣٠) البغوي، «معالم التنزيل». تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، (د.ط، الرياض: دار طيبة، د.ت)، ٣٤٢:٧.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

الذي لم يُفسح له: ابن فلانَة، يُعيّره بأمِّه.

إنّ تعدّدَ أسبابِ النزول لهذه الآيةِ لا يشكّل مدعاةً للريبةِ فيها بقدرِ ما يكشفُ عن سمةِ التمييز العنصري التي كانت سائدةً في علاقاتِ الناس، سواء بين العربِ أنفسهم أو بينهم وبين غيرهِم(٣١)؛ ممّا يُبيّن أنّ هذه الآية العظيمةَ نزلتْ خاصّة لمُحاربة أشكالٍ من العنصرية كانتْ تُقوّض أسسَ المجتمع العربيّ إبانَ البعثةِ وقبلها، وتهدِم أركانَ البناءِ المتماسكِ الذي كان الإسلامُ يسعىٰ إلىٰ تشييده، فقد كان العربُ يتمايزون بناء علىٰ اللّون، والنّسب، والشرفِ، والجنسِ، وقد مثلت هذه الحوادثُ المذكورة في أسبابِ النزول مظاهرَ هذه العنصريّة؛ لذلك أنزلَ اللهُ تعالىٰ هذه الآية تُلغي كلّ هذه العنصريات، وتُقيم مقامَها مبدأ المساواة، تاركةً أساسًا واحدًا للتفاضل بين النّاس هو أساسُ التّقوىٰ، فلم يعُد أكرمُهم أكثرَهم قرابةً، ولا أشرَفهم نسبًا، ولا ذكرانهم، وإنّما أكرمُهم أتقاهم. ومعلومٌ أن التقوىٰ ليس يكفي فيها الادّعاء المظهري، ولا يُترك الحكم بها للنّاس، وإنّما هي ميزانٌ لا يعلمُ حقيقتَه إلا اللهُ.

وبالوقوفِ عند بنيةِ الخطابِ في الآية، نجد أنه تضمّن خطابًا عامًّا لكافّة الناسِ؛ المؤمنين وغيرهم، وهو تنبيهٌ لهم جميعًا دون تمييز، فلمْ يخصّ الله جنسًا ولا عرقًا ولا شعبًا معيّنًا، وإنّما خاطبهم خطابًا جمعًا وعامًّا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. ثمّ بعد ذلك يأتِي محتوىٰ النّداء ليؤكدَ أمرين اثنين: الأوّل هو أنّ خالقَ الناس جميعًا هو اللهُ ﷻ، والثاني

(٣١) فقد نقلَ المؤرّخون أنّ العربَ كانوا يمتنعون عن تزويجِ بناتِهم إلىٰ الأعاجم، وسببُ ذلك «تكرّم العربِ عن الأعاجم واستعلاؤهم عليهم. ونظرتُهم إلىٰ الأعاجمِ علىٰ أنّهم دونَهم في المنزلة والكرامة»، يُنظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط١، جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص٥٤٤.

أنّه خلقهم من جنسين مختلطين؛ ذكرٍ وأنثىٰ، وتحتمل هذه العبارةُ أن تكون إشارةً إلىٰ أصلٍ واحد هو آدم وحوّاء، خاصة، كما تحتمِل قصدَ الذكر والأنثىٰ عمومًا، وفي الحالتين معا نفيٌ لأسبابِ التفاضل؛ «فإن قلنا إنّ المراد هو الأول، فذلك إشارةٌ إلىٰ أن لا يتفاخر البعضُ علىٰ البعض لكونهم أبناءَ رجل واحد، وامرأةٍ واحدة، وإن قلنا إنّ المراد هو الثاني، فذلك إشارةٌ إلىٰ أنّ الجنسَ واحد، فإنّ كلّ واحد خُلق كما خُلق الآخرُ من أبٍ وأمّ»[٣٢]. فالخطابُ القرآنيّ هنا يذكّر الناس بأنّهم سواسية من حيث إنّ خالقَهم واحد؛ ومن هنا فلا سبيلَ لأحدٍ منهم أن يدّعيَ فضلًا ولا نسبًا ولا تميّزًا عن الآخرين، ثم من حيثُ اشتراكُهم جميعًا في أصلِ الخلقة؛ إذ ينشؤون جميعُهم عن طريق امتزاج أمشاج ذكريةٍ وأنثوية، وهذا أيضًا يُبطل كلّ دعوىٰ للتفاضل بينَهم؛ إذ لا أحدَ خُلق من غير هذا الطريقِ حتىٰ ينسبَ لنفسِه فضلًا علىٰ غيرِه.

وقد تضمّنت الآية إقْرارًا بحقيقةٍ لا غبار عليها، وهي اختلافُ الناسِ في الفروع بعد اشتراكِهم في الأصولِ؛ فقد جعلَهم الله شعوبًا وقبائل؛ وتدخل تحتَ هذين الوصفين معاني عديدة تشمل كل التشكّلات البشريةِ في العالم: دولٌ وأممٌ، وبطونٌ وأفخاذ، وعجمٌ وعرب، وأصحابُ بادية وأصحابُ حاضرة، وأهلُ جبل وأهلُ سهل، ومشارقةٌ ومغاربة... وهذا الاختلافُ لا شكّ سينتج عنه تباينات فرعية لأسبابٍ عديدة علىٰ مستوىٰ اللّغة واللونِ والطبائع والعاداتِ، وغيرها من الاختلافاتِ الراجعة إلىٰ ظروف العيش والمناخ وما إلىٰ ذلك، والتي أصبَحت اليوم ظاهرةً للعيان بفضل التكنولوجيا التي قرّبت الشعوبَ والدولَ من بعضها،

(٣٢) الفخر الرازي، «التفسير الكبير ومفاتيح الغيب». (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٢٨:١٣٧.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

وعرفّتها علىٰ عاداتِها وتقاليدِها وثقافاتها المختلفةِ. إنّ هذه الآيةَ العظيمة جاءت لتؤكّد بجلاء ووضوحٍ لا لبس فيه «أنّ كلّ إنسان هو أخٌ للإنسان يتساويان أمامَ خالقٍ واحدٍ في التكليف والعملِ والعبادة، مهما كانت الألوانُ، ومهما كانت الصّفات، مهما تلوّنت العيون أو تغيرت الأنوف والأفواهُ، مهما كانتِ الجغرافيا والأراضي...»[٣٣]، فلا اعتبار لكلّ هذه الاختلافات في ادّعاء بعضِ الناس الفضلَ علىٰ بعض. إنّها المساواةُ في أبهىٰ صورها الصافيةِ.

لقد كان الدينُ الإسلاميّ واضحًا في النهي عن التفاخر باعتباره من صورِ العنصرية والتمييز، وقد دلّ علىٰ ذلك استعمال الخطابِ القرآني لعبارتي (**خَلَقْنٰكُم**) وَ(**جَعَلْنٰكُمْ**)، ففيهما، كما ذكر الرازي، «إشارةٌ إلىٰ عدمِ جواز الافتخار؛ لأنّ ذلك ليس لسعيِكم ولا قدرة لكُم علىٰ شيء من ذلك، فكيفَ تفتخرون بما لا مدخلَ لكم فيهِ؟»[٣٤].

ثم تضمّنت الآية الغايةَ من خلقِ الله البشر علىٰ هذه الهيئةِ من التنوع بين الشعوب والقبائل، وهي غايةُ التّعارف بينهم؛ وقد دلّل المفسرون علىٰ أن المعنىٰ المرادَ من الآية: «لتعارفوا، لا لتتفاخروا»؛ فاللام هنا هي لامُ كي؛ بمعنىٰ أنّ مرادَ الله من الآيةِ هو إنّا خلقناكم أيها الناسُ سواسية من حيث إنكم جميعَكم تعودون لأصلٍ واحدٍ هو آدم وحوّاء، أو إنكم مخلوقون وفقَ طريقة واحدةٍ هي زواج الذكر بالأنثىٰ، ثم إنّكم سواء من حيث إنّكم مخلوقون، كلّ ذلك لأن تتعارفوا. فلما كان

(٣٣) حسن الباش، «زحف العنصرية ومواجهة الإسلام». (ط١، دمشق: دار قتيبة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص٨.

(٣٤) الرازي، «التفسير الكبير»، ٢٨: ١٣٧.

ديدنُ الناس قبل الإسلام التفاخرُ والتفاضلُ بأنسابهم، جاء القرآنُ الكريم مانعًا لهذا التفاخُر، فاستنكروا ذلك، حتىٰ «كأنَّه قيلَ لم لا نتفاخرُ بالأنسابِ؟ فقيلَ لأَنَّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكُم لا أنسبُكم، فإنَّ مدارَ كمالِ النّفوسِ وتفاوتِ الأشخاصِ هُو التَّقوىٰ»(٣٥).

وأمّا علىٰ المستوىٰ الحجاجِي فيمكن تحليل الآية باعتبارها شكلًا قياسيًّا للحُجج Standard Form ينقسم إلىٰ مجموعة من المقدمات premises وهي علىٰ النحو الآتي:

مقدمة (١): نَحن (الله) الذين خلقناكم أيها الناس (جميعكم مخلوقنا).

مقدمة (٢): خلقناكم من ذكر وأنثىٰ (كلكم تعودون لأصل واحد).

مقدمة (٣): جعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا.

وهذه المقدّمات تقودُ إلىٰ نتيجة Conclusion وهي:

هذا مدعاة لأنْ تتعارفوا لا لأن تتفاخروا وتتفاضلوا (النهي عن عنصرية التفاضلِ بالنّسب).

وفي التّعارف مدّ لجسورِ التّواصلِ والتعاونِ والتآزر والتّكافل بناءً علىٰ أساسِ الوحدة البشرية والأخوّة الإنسانية، وهذا هو المطلبُ الأساس الذي يُمَكّن البشريةَ من العيشِ والتعايش في سلام وأمن وطمأنينة.

وقد سبق هذه الآية تحذير من السخرية باعتبارها سلوكًا عنصريًّا أيضًا، وجاء

(٣٥) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (د.ط، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت)، ٥: ١٨٠.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

ردُّ القرآن على السخرية من الآخر واحتقارِه بخطاب قاس جدًّا؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، فجعل «أيّ سبيل من سبل الانتقاصِ المذكورة فسوقًا وخروجًا من الإيمان، أو هو بمثابةِ الارتدادِ عن الإيمان، فالسخرية، والإساءةُ إلى الإنسان بالتنقيصِ من خلقِه، ودعوتِه بما يكرهُ من الألقاب، أمورٌ لا تجرحُ الإحساسَ الإنسانيَّ فقط بمن يُسخَر منه، أو يُساء إليه من خلقه، أو في مواجهتِه. وإنما قد يصلُ جرحُ الإحساسِ إلى ما يُعيقُه عن التفكيرِ السليم، ومباشرةِ العملِ، ويحُول بينَه وبين النظرةِ المتفائلة في الحياة»[٣٦]، وفي ذلك تعطيلٌ لمبدإ الاستخلافِ، وتكريسٌ لسلوكِ الانطواء على الذات وفرطِ الأنانية، والسبب عنصري محض.

(٣٦) محمد البهي، «التفرقة العنصرية والإسلام». (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص١٠.

المطلب الرابع:

أوّل رسول في مواجهة العنصرية بين قومه.

قال اللهُ تعالىٰ يحكي عن قومِ نوح لما دعاهُم نوحٌ إلىٰ عبادة الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:٢٥-٢٧]. فالملأ هنا هم السّادةُ والأشرافُ كما قال جلُّ المفسرين؛ لذلك دفعهم تكبّرُهم إلىٰ الإعراض عن النبيّ نوح وعن أتباعه لأنّهم كانوا فقراء، وجعلوهم أراذلَ محقورين «دَلِيلًا عَلىٰ أَنَّهُ لا مَيْزَةَ لَهُ عَلىٰ سادَتِهِمُ الَّذِينَ يَلُوذُ بِهِمْ أَشْرافُ القَوْمِ وأَقْوِياؤُهم»[٣٧]، فنوح -في رأيهم- لم يكن يتمتّع بمقوماتِ السيادة لأنه كان بشرًا مثلهم لا فضل له عليهم، وأتباعه كانوا سفلةً لا حظوة ولا مكانة لهم، وهذا ما اتخذوه ذريعةً لعدمِ إيمانهم به؛ «لِأَنَّهم يَتَرَفَّعُونَ عَنْ مُخالَطَةِ أَمْثالِهِمْ وأَنَّهُ لَوْ أَبْعَدَهم عَنْهُ لاتَّبَعُوهُ»[٣٨].

وإذا كانتْ تجربةُ نوحٍ مع قومه هي الأولىٰ، فإنّ التجاربَ التي تلتها لم تكن فيها العنصرية أقلّ وطأةً، فكلما ابتعدَ الناسُ عن دينِ ربهم وتعاليمِه إلا ويعمّ الظلمُ والحيف، و«تصبحُ لدىٰ الغالبِ لغةٌ واحدةٌ يستخدمها مع المغلوب هي لغةُ الإذلال والاستعباد،

(٣٧) محمد الطاهر بن عاشور، «تفسير التحرير والتنوير». (د.ط، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ١٢:٤٨.

(٣٨) ابن عاشور، «تفسير التحرير والتنوير»، ١٢:٤٨.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

لغةُ العنصرية التي يرفضُها قانون اللهِ وشرائعُه ويمقتُها أنبياؤه ورسلُه ومصْلحوه»(٣٩).

وهذا ديدنُ المتكبرين المعتزين بشرفِهم في كلّ زمانٍ وحين، فقد فعلَ نظراؤهم في عهد النبي ﷺ الذي لم يسلمْ من العنصرية أيضا مثلَ فِعْلهم، وطلبوا من النبيّ ﷺ أن يوثرَهم بمجلسٍ خاصّ يُنحّي منه الفقراء والوضعاء -في رأيهم- أمثال سلمان وأبي ذرّ، وبلال، وعمّار... فردّ عليهم ربُّنا تعالىٰ بقوّة آمرًا النبيّ بالجلوس مع هؤلاءِ الفقراء، فقال له: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]، ونهاهُ عن طاعةِ أولئك العنصريّين المتّبعين هواهم، واصفًا سلوكَهم بالفُرط؛ أي المُجانب للصّواب والمُخالف للحقّ، كما جاء في التفسير؛ لأنّهم تسربلوا بلباسِ الريّاء والكبر واحتقارِ أهل الإيمان والنظرِ إليهم نظرةً دونيةً، وحذّره من الإعراضِ عن أولئك المومنين، وتوعّد هؤلاء المتكبرين بالنار، فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف:٢٩]، إنّه وعيدٌ رهيب بالعقابِ الشديد، وعِظمُ العقابِ وهولُه دالّ علىٰ عِظم الجُرم وفداحتِه، وهو العنصريةُ. وقد عمِل الإسلامُ علىٰ تقويضِ أسبابِ العنصرية واجتثاثِها من أصولِها لما لها من خطرٍ عظيمٍ يهدّد وحدةَ الأمة التي جاء من أجل تحقيقها؛ وهكذا أخرجَ نبي الأمة كلّ عنصري معتدّ بعنصريته من دائرة المؤمنين فقال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ»(٤٠).

(٣٩) حسن الباش، «زحف العنصرية ومواجهة الإسلام»، ص٦-٧.

(٤٠) أخرجه أبو داود، أبواب النوم، باب في العَصبيَّة، برقم (٥١٢٣)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

والعقابُ الذي حلّ بقوم نوح بسببِ عنصريتهم وتكذيبهم لنبيّهم كان أشدّ وأعتىٰ؛ فقد أغرقهم الله في قصّة الطوفان الأعظم، وحكَم عليهم بالفسوق فقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الذاريات:٤٦]. وفي آية أخرىٰ عبّر أشرافُ قومِ نوحٍ عن عنصريتهم باستفهام يفيد الإنكارَ والاحتقارَ في آن واحدٍ فقالوا له كما حكىٰ القرآن: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، ولقد ردّ نبيُّ الله نوحُ عن عنصريتهم القائمة علىٰ استرذال فقراءِ المؤمنين بأنّه لن يطرد هؤلاء واصفًا إيّاهم بالمؤمنين، وفي ذلك ردّ اعتبار لهم مقابل ما وصفهم به أولئك المتكبرون من الرذالة، فهم شرفاء في ميزان الله تعالىٰ، قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤]، ووصف طلب المتكبّرين ذلك وعنصريتهم تلك بالجهالة؛ لما فيه من تطاولٍ دالّ علىٰ طغيانهم وسفاهتهم عندما حكّموا معاييرَ المال والشّرفِ والنسبِ في التمييز بينهم وبين فقراء قومِهم. وقد بيّن لهم أنّ اللهَ يعاملُ عبادَه بحسبِ أفعالِهم لا بحسبِ شرفِهم ومالهم، وأنّه سيسألهم يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا، لا عن شرفِهم وحسبهم. وبذلك يكون نبيّ الله نوح قد أقرّ مبادئ العدل في قومه، وحاربَ آفةَ العنصرية بيْنهم.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

المطلب الخامس:

الخطاب القرآني وردُّ مزاعم اليهود والنصارى العنصرية.

لمّا جاء الإسلامُ بتعاليمه السّمحة وأُمِرَ النبيُّ ﷺ بتبليغِهِ العالمين انبرىٰ إليهِ اليهودُ والنّصارىٰ، وحاربُوه بشتّىٰ السبلِ، كثير منها عنصريّ؛ إذ ادّعوا تفضيلَ اللهِ لهم علىٰ باقي البشرِ، وأنّه لا دين إلا دينهم. ولقد حكَىٰ عنهم القرآنُ قولَهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، فكذّبهم الله تعالىٰ ووصفَ قولَهم هذا بالأماني والادّعاء الكاذبِ، وطالبهم بالحجّة والدليلِ فقال: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]. ثمّ عقّب ﷺ عن ادّعائهم ذلك بإقرارِ مبدإ المساواة بين البشرِ في الجزاءِ والثواب، وبيّن أنَّ الجنَّةَ ليستْ حكْرا علىٰ أحد كيفما كان أصلُه ودينُه، وإنّما ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢]؛ أي أنّ الجنةَ متاحة لكلّ من أسلم ذاتَه للهِ تعالىٰ ممتثلًا أوامرَه مجتنبًا نواهيَه، مخلصًا في ذلك للهِ وحده. وفي مقالةٍ أخرىٰ من مقالاتهم العنصرية جاء: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]؛ فقد زعموا أنّ الهدايةَ اجتمعت فيهم وفي دينِهم فقط، واعتبروا، بالمقابل، غيرَهم ضالين، دلَّت علىٰ ذلك صيغةُ الخطاب التي نطقوا بها، إذ قولهم هذا دالّ علىٰ الحصر، و«وَجْهُ الحَصْرِ حاصِلٌ مِن جَزْمِ «تَهْتَدُوا» في جَوابِ الأمْرِ؛ فَإنَّهُ عَلىٰ تَقْدِيرِ شَرْطٍ فَيُفِيدُ مَفْهُومُ الشَّرْطِ أنَّ مَن لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا لا يَراهُ اليَهُودُ مُهْتَدِيًا ومَن لَمْ يَكُنْ نَصْرانِيًّا لا يَراهُ النَّصارىٰ مُهْتَدِيًا، أيْ نَفَوُا الهُدىٰ عَنْ مُتَّبِعِ مِلَّةِ

إبْراهِيمَ وهَذا غايَةُ غُرُورِهِمْ»(٤١). لكنّ اللهَ تعالىٰ كذّبهم مرة أخرىٰ وردَّ زعمَهم هذا وأبطلَه، مبيّنًا أنّ الحقّ في اتباع ملّة إبراهيم، ودعوةِ الإسلام الواحدةِ الموحّدة التي تنتسب إليها جميعُ الملَل، فأمر نبيَّه بأن يدعوهم إليها قائلًا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]، وهكذا بيّن لهم أنّ الإسلامَ جاء ليوحّد النّاسَ تحت راية واحدة، ويناهضَ كلّ أشكالِ التمييز والعنصرية بينهم. ودعوتُه هذه هي الدعوةُ التي تجعل منه النظامَ العالميَّ الصالح لكل الأزمان ولجميع البشرية.

وفي موضعٍ آخر حكَىٰ عنهم القرآنُ قولَهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨]؛ فقد ادّعوا دعوىٰ يزكّون بها أنفسَهم علىٰ غيرهم، وزعموا لهم فضلًا علىٰ غيرِهم من البشر بأن نَسَبوا أنفسَهم إلىٰ الله، وقالوا بأنّهم من أنبيائِه، وأنبياؤه -في اعتقادهم- هم أبناء الله، كما ادّعوا أن الله يُحبّهم، لكنَّ اللهَ ردّ زعمَهم هذا بخطاب شديد اللهجة، وتحدّاهم بأنّهم لو كانوا كما زعموا فلِمَ يعذبهم اللهُ بكفرِهم مثلهم مثل كلّ كافر وجاحدٍ؟ ثم أقرّ ﷻ فيهم مبدأ المساواة بينهم وبينَ جميعِ الناس، فجعلهم بشرًا ممّن خلقَ، لا فضلَ لهم علىٰ غيرهم. وذلك بالنظرِ إلىٰ كونِهم سيرجعون إلىٰ اللهِ تعالىٰ بعد موتِهم، وسيعاملُهم مثلما يُعامل غيرَهم؛ فيثيب من يستحقُّ الثوابَ، ويعاقبُ من يستحقّ العقابَ، فأين فضلُهم وتميّزهم؟ فعدلُ الله في حسابِ عباده يوم لقائه سيفٌ يقطعُ حبلَ العنصرية المُدعاة من قِبلهم، ويجعل الناسَ سواسيةً في التكليف، سواسيةً

(٤١) ابن عاشور، «تفسير التحرير والتنوير»، ١: ٧٣٦.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

في الجزاء دون تمْييز، فمتىٰ ما أدرك الخلقُ هذه الحقيقةَ كفّوا عن التفاخرِ بينهم والاعتدادِ بأصولِهم وأجناسِهم، واحتقارِ بعضهم، وسارعوا إلىٰ إصلاح أنفسهم وحثها علىٰ الاستقامة طلبا لمرضاة الله التي لا تُنالُ بشرفِ أصلٍ أو جنس ولا بمجرّد الانضواء تحتَ مظلّة ديانةٍ معيّنة، وإنما تُدركُ بطاعةِ الله والإخلاصِ في ذلكَ.

لَقد عملَ القرآنُ الكريمُ علىٰ ردّ وإبطال كلّ ادعاءات النّصارىٰ العنصرية التي تستنِد إلىٰ جِنسهم وأصْلهم، وأثبتَ أن البشرَ متساوون في ميزانِ عدلِه ﷻ من حيثُ الأصلُ البشري، لا يتفاضلون فيه إلا بأعمالِهم، فالبشريةُ «تتّصلُ في رحمٍ واحدة، وتلتقي في وشيجةٍ واحدةٍ، وتنبثقُ من أصلٍ واحد، وتنتسِبُ إلىٰ نسبٍ واحدٍ»(٤٢)، لذلك فإنَّ اليهودَ والنصارىٰ بادّعائهم العنصري هذا يكونون قد زاغوا عن المنهجِ القويمِ، والمعتقدِ السليم القاضي بالمساواة، ومن هنا جاءَ الردُّ عن مقالاتهم العنصريةِ بخطابٍ عنيفٍ، مكذبًا ومبطلًا لما ادّعوه حتّىٰ لا ينتشرَ ادعاؤُهم ذاك فيعمّ الفسادُ، و«أيّ فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصوّر، وأي اضطرابٍ في الحياة يمكن أن يُنشئه مثل هذا الانحرافِ»(٤٣). وما يفعله الصهاينةُ اليوم في إخواننا الفلسطينيين خير شاهد علىٰ همجيتِهم وتعصّبهم وعنصريتهم المفرطة التي تجرّدهم من قيمِ الإنسانيةِ، وما كان لهم أن يتمادوا لولا تواطؤ أعوانِهم من الغربِ، وتخاذل العرب والمسلمين. وما يمارسه الصهاينة من عنصرية في حقّ إخواننا الفلسطينيّين وما يصاحبُه من صمْتٍ غربيٍّ يكشفُ بجلاء زيفَ قيم الغربِ ونفاقَه، وأنّ كلّ شعاراتِهم لمناهضَة العنصريّة ليستْ سوىٰ مزاعمَ مكذوبة يُلمّعون بها صورتَهم الخارجيّةَ ليسَ إلا.

(٤٢) قارة، «الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام»، ص١٧.

(٤٣) قارة، «الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام»، ص٣٤.

الخاتمة

لقد تبيّن ممّا سلفَ أنّ القرآنَ الكريمَ أولىٰ عنايةً بالغةً لخطابِ العنصريّة، من حيثُ عرضُه بمختلفِ أساليبه وصيغِه، ثم من حيثُ الردّ عليه، وإبطالُه، وإدانتُه بشدّة. فقد ردّ القرآنُ الكريم مزاعمَ كلّ من ادّعىٰ أفضليةً أو تميزًا علىٰ غيرِه، بناءً علىٰ أي أساسٍ عدا أساسِ التّقوىٰ، فأثبتَ أنّ البشريةَ جمعاء تنحدِر من أصلٍ واحدٍ هو آدم عليه السلام، وهي الحقيقةُ التي أثبتَتها كلّ الديّانات السماويةِ غير المحرّفة، ولمّا كان الأمرُ كذلك فإنّه لا حقَّ لطائفةٍ أو شعبٍ أو أمةٍ من الأمم في أنْ تدّعيَ أفضليةً علىٰ باقي الطوائفِ والشعوبِ والأممِ الأخرىٰ.

تصدّىٰ القرآنُ لخطابِ العنصريّة بخطابٍ مضادّ أشدّ لهجةً؛ فيه وعيدٌ شديدٌ لقائليه ومروّجيه ومعتَقديه، وهذا دليلٌ علىٰ مناهضةِ الدّين الإسلاميّ لهذه الآفةِ الخطيرةِ، وبراءتِه منْها، وينطوي هذا الخطابُ علىٰ دعوةٍ ضمنيّة إلىٰ الابتعادِ عن هذا النوعِ من الخطاباتِ؛ ذلك أنّ خطابَ العنصرية له عواقب وخيمةٌ في الدنْيا والآخرة؛ في الدنيا بما يثيرُ من نعراتٍ وصراعاتٍ تهدّد استقرارَ المجتمعاتِ وتجعلُها عرضةً للتفكّك والتفرّق والصرّاعِ والحروبِ، وبما ينتظرُ المصرّين عليه من عقابٍ آجل إذا لم يَتوبوا ويتراجَعوا عنه مثلَما حلّ بقومِ نوحٍ، وبمَ يولّدُ من الآفاتِ التي تُهدّد الاستقرارَ البشريّ علىٰ هذه البسيطةِ، وفي الآخرةِ بما يلقاهُ أصحابُه والمروّجون له من عقابٍ شديد في نارِ جهنّم.

وقد تبيّنَ أن التمييزَ العنصري فكرةٌ تسْكنُ النّفوسَ المريضة، المناهضَة للفطرة

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

السّليمة، الغارقةَ في بحرِ الأنانيّة المفرطةِ، من أجلِ تبرير سطوتِها، وشرعنةِ شهْوة سلطانِها، تحاوِل من خلالها إثباتَ حبّ تفردّها عن الغير بغيرِ وجْه حقٍّ، وهي فكرةٌ شاذّة، كما تبيّن، تُنافي كلّ دين، وتخالفُ كلّ منطقٍ سليم أقرّ بأُخوّةِ الإنسانِ لأخيه الإنسانِ، وبِنُوّة جميع البشرِ لآدم عليه السلام. فاللهُ تعالىٰ كما أخبَرنا في كتابِه قد خلقَ الناسَ جميعًا من نفسٍ واحدة (آدم)، وخلقَ منها زوجها (حواء)، وفي تأكيد هذه الحقيقةِ القرآنية درءٌ للعنصريّة بمختلفِ أشكالها، ودرءٌ لتلك العنصرية الخاصّة ضدّ المرأة التي كانت وما زالت تُلاقي أنواعًا من المعاملةِ غير اللائقة من قبل الرّجل، فقد سوّىٰ القرآنُ بينها وبين الرجل في الخلقةِ والفطرةِ، وسوّىٰ بين جميعِ بني البشرِ، وما أجمَل هذا البيان النبويّ الذي استمدّه النبيُّ ﷺ من القرآنِ الكريم حينَ قالَ: «يا أيُّها الناسُ ألا إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ، ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ علىٰ عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ علىٰ عربيٍّ ولا لأحمرَ علىٰ أسْودَ إلَّا بالتَّقوَىٰ، إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ»(٤٤).

إن الدّين الإسلاميَّ بمناهضتِه للعنصريّة يُثبتُ أنّه دينٌ قويمٌ، يدعو إلىٰ المساواة والتّسامحِ والتعايش والبحثِ عمّا يوحّد البشريةَ من قيمِ المشتركِ الإنسانيّ، وينبذ كلّ نوازِع الفُرقة والتّمييز والتعصّب، وهو في ذلِك ينسجم مع ما يُنادِي بِهِ حكماءُ العالمِ وعقلاؤُه من جميعِ الأديانِ والأعراقِ؛ ولذلك وجبَ علىٰ المسلمين اليوم فتحُ سبلٍ للحوارِ والتواصل مع غيرهم من الأممِ الأخرىٰ، والعملُ علىٰ التّبشير بهذه القيمِ الإنسانيّةِ الكونيّةِ التي جاءَ بهَا الإسلامُ، وتصحيحُ كلّ التمثلات الخاطئةِ التي سوَّقها الأعداءُ عن الإسلامِ إذ نَسبوا إليه ما ليس منه كَذبًا وزُورًا. فالغربيّون اليوم كثيرٌ منهم لا يعرفون حقائقَ هذا الدّينِ

(٤٤) أخرجه أحمد برقم (٢٣٥٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة برقم (٢٧٠٠).

وصفاءَ دعوتِه إلىٰ الأخوّة البشريّة، لا يعرفون إلا قشورًا أو ما يُراد لهم أن يعرفُوه لغاياتٍ في نفوسِ البعضِ، بل وحتّىٰ ما يعرفونه يُحاط بسياقٍ عالمي متواطئ علىٰ تشويهِ صورةِ الإسْلام ممّا يجعلهم يحوّلونه إلىٰ تمثلات خاطئة عن الإسلام وعن المنتسبين إليهِ، فتزدادُ عنصريّتُهم تجاه الإسلام وأهلِه. وإنّه لمن دواعي الغبطة أن يعتزّ المرءُ بانتمائِه لهذا الدّين ذي القيمِ السّمحة الذي من مزاياه «شعور الإنسان بامتدادِ شخصيّته أمامَ سائر الخلقِ، وبأنّه ليسَ لأحدٍ ما أن يزعُم لنفسِه منزلةً يسْتعلي بها علىٰ الآخَرين»(٤٥)، وأعتقدُ أنّ من واجبِ كلّ مسلم اليوم أن يُقدّم الصورةَ اللائقةَ عن دين الإسلامِ في سلوكِه -أوّلًا-، ثم بما يمتلكُ من وسَائل -ثانيًا-؛ من أهمّها الفِكرُ والخطاب والقلم.

لا سبيلَ اليومَ أمام العالمِ، إن هو أراد أن يعيشَ في سلام، إلا بالبحثِ عما يوحّده ويدعو الجميعَ إلىٰ الالتفافِ حوله، وتلك مهمّة العقلاء في كلّ دين وأمة للتّحاوُر والتّواصل وقطعِ دابر الخطابِ العنصريّ الذي يُذكي النّعرات والنّزاعات العالمية والطائفية. وإنّ قدرًا كبيرًا من مسؤولية هذا الأمر-في اعتقادي- ملقىٰ علىٰ عاتقِ الإعلام ووسائلِ الاتصالِ الحديثة، وإذ أدعو إلىٰ ذلك فإنّني أقرّ بخطورةِ الكلامِ وقدرتِه الكبيرة علىٰ التأثير في النّاس سلبًا وإيجابًا، ولا سبيل لمناهضةِ العنصرية القوليةِ إلا بخطابٍ مضادّ يقوّض الخطابَ العنصريَّ من قواعدِه، وينشرُ قيَم المساواة والتسامحِ والتعايش مستنِدًا إلىٰ أسس الدينِ الخاتِمِ، تحْتَ سماءِ إلهٍ واحد، والاجتماع حوْل رحمٍ واحدة هي رحم الأخوة الإنسانيةِ. أمّا التّمادي في نشر الأقوالِ العنصريّة، فلن يولّدَ إلا مزيدًا من ردودِ الأفعالِ الأكثرِ عنصُريّة.

(٤٥) الغزالي، «هذا ديننا»، ص٤٦.

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

توصيّة

أدعو في خاتمةِ هذه الدّراسةِ كلّ باحثٍ مُسلم غُيور علىٰ دِينه أنْ يكبّ علَىٰ دِراسةِ الظواهِر الاجتماعِية الخطيرةِ التي باتَت تَقضّ مضجعَ العالم اليومَ مِن منظورِ القرآنِ الكرِيمِ وبمرآتِهِ الصّافيةِ، ويحاولَ إظهارَ النّظرة الإسلاميةِ المناهضةِ لكلّ الأقوالِ والسّلوكاتِ التي تُسيءُ للإنْسانِ باعتبارِهِ إنسانًا وكفىٰ، حتّىٰ يتبيّنَ للعالمِ أنّ الدينَ الإسلاميَّ هو دينُ القيمِ الكونيّة الهادفَة إلىٰ بناءِ الإنسانِ وتكريمِهِ بغضّ النظرِ عنْ دينِه ولوْنه وجِنسِه، كمَا أُوصِي بضرورةِ أن نعْمل جَميعًا علَىٰ التّفكير في السّبلِ العمليّة لتنزيلِ هذِه القيمِ في حياتِنا ومناهضةِ كلّ القيمِ الخبيثةِ والهجينةِ التي تُسيء للبشريّة عامّة.

والحمدُ لله أوّلًا وآخِرًا، والصّلاةُ والسّلامُ علَىٰ سيّدنَا محمّد دَائمًا وأبدًا.

ثبت المصادر والمراجع

القرآنُ الكريم برواية حفص.

- ابن عاشور، محمد الطاهر. *«تفسير التحرير والتنوير»*. (د.ط، بن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤).
- الألباني، محمد ناصر الدين *«غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام»*، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- ابن منظور. *«لسان العرب»*، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، (د.ت) دار المعارف.
- أبو السعود. *«إرشاد العقل السليم إلىٰ منزايا الكتاب الكريم»*.، أبو السعود، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (د.ط، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض،: مكتبة الرياض الحديثة، (د.ت).
- أبو داود السجستاني. سنن أبي داوود، أبو داوود.، *«السنن»*. (د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، (، د.ت).
- أحمد بن حنبل. *«المسند»* الإمام أحمد.، (د.ط، بيروت: أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- الأنصاري فريد. *«مجالس القرآن، مدارسات في رسالات الهدىٰ المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلىٰ البلاغ»*. (ط٤، الأنصاري فريد، دار السلام، ط٤، ٢٠١٥هـ).
- الباش حسن. *«زحجف العنصرية ومواجهة الإسلام»*. (ط١، دمشق: الباش حسن، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٩٤م).
- البغوي.تفسير البغوي، *«معالم التنزيل»*. البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين،. (د.ط، دار طيبة، الرياض:، دار طيبة، (د.ت).
- البهي محمد. *«التفرقة العنصرية والإسلام»*. (ط١،، القاهرة: البهىٰ محمد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- جواد علي. *«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»*. (ط١، جواد علي، جامعة بغداد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
- الرازي. *«التفسير الكبير ومفاتيح الغيب»*. (ط١، بيروت: الرازي الفخر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»*.، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق،. (ط١، مكتبة العبيكان، الرياض:، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
- السيوطي. *«أسباب النزول»*. (ط١، السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- الشنقيطي، محمد الأمين. *«العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير»*، تحقيق خالد بن عثمان السبت. (ط٢: مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٣٣هـ).
- الغزالي محمد. *«هذا ديننا»*. (ط٥، الغزالي محمد، دار الشروق، ط٥، ١٤٠٢١هـ/ ٢٠٠١م).
- فرانسوا دي فونتيت. *«العنصرية»*. فرانسوا دي فونتيت، ترجمة عاطف علبي،. (ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩م).
- قارة، عبد العزيز عبد الرحمن. *«الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام»*.، (ط٢، قارة عبد العزيز عبد الرحمن، دار البشير، جدة: ،دار البشير، ط٢، ١٤٠١٦هـ/ ١٩٩٥م).
- المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، وكره الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، الأمم المتحدة، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٣.
- **Bent Sørensen:** "Racism, the media and the Internet", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005.
- Kevin Boyle: "Introduction", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005.
- **Nicole SAVY :** « Le racisme à travers l'histoire : choses, mots et idées », Hommes & Libertés N° 172, Décembre 2015.
- Pierre-André Taguieff et Michel Wieviorka : Le Racisme, Le Multiculturalisme, Cahier du CEVIPOF n° 20, 1998.

References and Sources

The Holy Quran, Riwāyah Ḥafṣ ‘an ‘Āṣim

- Ibn Ashour, Muhammad al-Taher. ***Tafsīr Al-Taḥrīr Wa-Al-Tanwīr***. (No Edition,, Ibn Ashour Muhammad al-Taher, the Tunisian Publishing House, 1984).
- Ibn Manzoor. ***Ghāyat Al-Marām Fī Takhrīj Aḥādīth Al-Ḥalāl Wa-Al-Ḥarām***, Al-Albani Muhammad Nasir al-Din, The Islamic Bureau, Damascus, 1st edition, 1400 AH / 1980 CE.
- Abu Saud. “***Irshād Al-‘aql Al-Salīm Ilá Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm***”, Abu Al-Saud, investigated by Abdul Qadir Ahmed Atta, (No Edition, Riyadh Modern Library, Riyadh, (No Date).
- Abu Dawud al-Sijistani, Sunan Abi Dawood, Abu Dawud., "***Al-Sunan***". (No Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, (No Date).
- Ahmad ibn Hanbal. ***Al-Musnad***, Imam Ahmad. (No Edition, Beirut, Ahmed bin Hanbal, Al-Risala Foundation, Beirut, (No Date).
- Al-Ansari Farid. “***Meetings of the Qur’an, Discussions of the Messages of the Methodological Guidance of the Holy Qur’an, from Reception to Communication***” (4th Edition, Ansari Farid, Dar Al-Salam, 4 edition, 2015 AH).
- Bash Hassan. "***The Creepage of Racism and the Confrontation of Islam***". (Damascus: Al-Bash Hasan, Dar Qutaiba, Damascus, 1st edition, 1415 AH / 19994 AD).
- Al-Baghawi. Tafsir al-Baghawi, “***Ma‘ālim al-tanzīl***, Al-Baghawi, investigated by by Muhammad Abdullah Al-Nimr and others. (No Edition Dar Taibah, Riyadh: Dar Taibah, (No Date).
- Al-Bahi Mohammed. "***Racial Discrimination and Islam***". (1st edition, Cairo: Al-Bahi Muhammad, Wahba Bookstore, Cairo, 1st edition, 1399 AH / 1979 AD).
- Jawad Ali. ***Al-Mufassal in the history of the Arabs before Islam***. (1st edition, Jawad Ali, University of Baghdad, 1st edition, 1413 AH / 1993 AD).
- Al-Razi. “***Al-Tafsīr Al-Kabīr Wa-Mafātīḥ Al-Ghayb***”. (1st edition, Beirut: Al-Razi Al-Fakhr, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1401 AH / 1981 AD).
- Saadi, Abdul Rahman bin Nasser. “***Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān.”,*** Abd Al-Rahman bin Nasser Al-Saadi, investigated by Abd Al-Rahman bin Mualla Al-Luwayhaq, (1st edition, Obeikan Bookstore, Riyadh: Obeikan Bookstore, 1st Edition, 1422 AH / 2001 AD).

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
Q1: 0.375 (2021) معامل تأثير آرسيف لعام

- Al-Suyuti. ***Asbāb Al-Nuzūl***. (1 edition, Al-Suyuti, The Cultural Books Foundation, Beirut: The Cultural Books Foundation, 1st edition, 1422 AH / 2002 AD).
- Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin. "***Al-'Adhb Al-Numayr Min Majālis Al-Shinqīṭī Fī Al-Tafsīr***", investigated by Khaled bin Othman Al-Sabt. (2nd Edition: Makkah Al-Mukarramah, Dar Al-Alam Al-Fawa'id, 1433 AH).
- Al-Ghazali Muhammad. " ***Hādhā Dīnunā***,". (5th edition, Al-Ghazali Muhammad, Dar Al-Shorouk, , 14021 AH / 2001 AD).
- Francois de Fontet. "***Racism***". Francois de Fontet, translated by Atef Olabi. (1st edition, Beirut: University Institute for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1st edition, 1420 AH / 199 AD).
- Qarrah, Abdul Aziz Abdul Rahman***. Islam and racism and the differentiation of tribes and people of color in the Scale of Islam***.
- Lisan al-Arab.", Ibn Manzoor, investigated by Abdullah Ali al-Kabir and others. (No Edition, Dar Al-Maarif, No Date)
- ***World Conference to Combat Racism and Racial Discrimination, Xenophobia and Related Intolerance***, United Nations, United Nations Department of Public Information, New York, 2003.
- **Bent Sørensen:** "***Racism, the media and the Internet***", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005.
- Kevin Boyle: "***Introduction", in Dimensions of Racism, Proceedings of a Workshop to commemorate the end of the United Nations Third Decade to Combat Racism and Racial Discrimination***, Paris, 19-20 February 2003, New York and Geneva, 2005.
- **Nicole SAVY :** « ***Le racisme à travers l'histoire : choses, mots et idées*** », Hommes & Libertés N° 172, Décembre 2015.
- Pierre-André Taguieff et Michel Wieviorka: ***Le Racisme, Le Multiculturalisme,*** Cahier du CEVIPOF n° 20, 1998.

فهرس الموضوعات

المستخلص ٢٨٣
المقدمة ٢٨٥
مدخل ٢٩١
المبحث الأول: العنصرية: تاريخُ المفهومِ وأنماطُ الظهور ٢٩٥
المطلبُ الأوّل: تاريخُ مفهوم العنصريّة. ٢٩٥
المطلب الثاني: خطورةُ العنصرية القولية (الكلامية)..... ٣٠٠
المبحث الثاني: خطابُ العنصرية في القرآن وطرق معالجته ٣٠٤
المطلب الأول: عنصريةُ إبليس وعقابُه دليل إدانتِها في القرآن..... ٣٠٥
المطلب الثاني: اختلافُ الفروع لا يلْغي وحدةَ الأصلِ ٣٠٩
المطلب الثالث: الاختلافُ مدعاة للتّعارفِ لا للتمييز ٣١٢
المطلب الرابع: أوّل رسول في مواجهة العنصرية بين قومه..... ٣١٨
المطلب الخامس: الخطاب القرآني وردُّ مزاعم اليهود والنصارىٰ العنصرية. ٣٢١
الخاتمة..... ٣٢٤
ثبت المصادر والمراجع..... ٣٢٨
رومنة المصادر والمراجع ٣٣٠
فهرس الموضوعات ٣٣٢

(Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718
معامل تأثير آرسيف لعام (2021) Q1: 0.375

تدبر
15

TADABBUR JOURNAL

مجلة تدبر العلمية للبحوث والدراسات

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (15), Volume (16) Year 8/ Muharram 1445 AH, corresponding to July 2023

(Issn-E): 1658-9718 | (Issn-L): 1658-7642 | Q1: 0.375 (2021) معامل تأثير أرسيف لعام

١٥

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR JOURNAL Index:

Fine Meanings of the Quranic Eloquence In the Verses of "Ūlū al'albāb" (The People of Understanding) in Surat Al-Ra'ad (Thunder)
Dr. Rabie Yousef Al-Jahmai

Comparative Form (af'al) in other Classification Stipulated in the Holy Quran
Dr. Abdul-Razzaq Hussein Ahmed

Eloquence of Using Singular Form to Mean Plural in the Quranic Text
Prof. Mohammed Mahmoud Al-Bahioul

The Discourse of Verbal Racism and Combating it in the Quranic Vision
Dr. Miloud Arniba

Retractation in Exegetics, Fundamental Study
Researcher: Dr. Manal Abdulelah Mohammed Alotebi

Introductory Report about the Book: Note of The Holy Quran Reflection, Fundamental Study of Postgraduate Studies
Prof. Mohammed Abdulaziz Mohammed Alawaji

Report about Academic Symposium entitle: "Sciences of the Meanings of the Holy Quran; Positions and Purposes" in the Moroccan Kingdom
Dr. Youssef Fawzi

العدد الخامس عشر - السنة الثامنة
المجلد ١٦ - ١٤٤٥هـ / يوليو ٢٠٢٣م

25 SR
1658-7642

ISSN